

سر المستحرة

توفيق الحكيم



سُرْمِسْتَحَرَة

توفيق الحكيم

سُرُ المُنْتَحَرَة

أربعة فصول

١٩٢٩

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل مدني - الجيزة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

- ١ - محمد ^{عليه السلام} (سيرة حواريه) ١٩٣٦ ٣٤ - المسرح المروع (٢١ مسرحية) ١٩٥٦
- ٢ - عودة الروح (روائية) ١٩٣٣ ٣٥ - لعبة الموت (مسرحية) ١٩٥٧
- ٣ - أهل الكهف (مسرحية) ١٩٣٣ ٣٦ - أشواق السلام (مسرحية) ١٩٥٧
- ٤ - شهر زاد (مسرحية) ١٩٣٤ ٣٧ - رحلة إلى الهند (مسرحية لتبوية) ١٩٥٧
- ٥ - يوميات نائب في الأرياف (روائية) ١٩٣٧ ٣٨ - السلطان الحائر (مسرحية) ١٩٦٠
- ٦ - عصفور من الشرق (روائية) ١٩٣٨ ٣٩ - يا طالع الفخرة (مسرحية) ١٩٦٢
- ٧ - تحت شمس الفكر (مقالات) ١٩٣٨ ٤٠ - الطعام لكل فم (مسرحية) ١٩٦٣
- ٨ - أنشعب (روائية) ١٩٣٨ ٤١ - رحلة الريح والغريف (شعر) ١٩٦٤
- ٩ - عهد الشيطان (قصص فلسفية) ١٩٣٨ ٤٢ - سجن العمر (سيرة ذاتية) ١٩٦٤
- ١٠ - حمادى قال لي (مقالات) ١٩٣٨ ٤٣ - شمس النهار (مسرحية) ١٩٦٥
- ١١ - براكسا أو مشكلة الحكم (مسرحية) ١٩٣٩ ٤٤ - مصر صرخار (مسرحية) ١٩٦٦
- ١٢ - راقصة العبد (روايات قصيرة) ١٩٣٩ ٤٥ - الورطة (مسرحية) ١٩٦٦
- ١٣ - نشيد الأندلس (كما في التوراة) ١٩٤٠ ٤٦ - ليلة الزفاف (قصص قصيرة) ١٩٦٦
- ١٤ - حمار الحكيم (روائية) ١٩٤٠ ٤٧ - لآلينا المسرحي (درامات) ١٩٦٧
- ١٥ - سلطان الظلام (قصص سياسية) ١٩٤١ ٤٨ - بك القلق (روائية مسرحية) ١٩٦٧
- ١٦ - من البرج العاجي (مقالات قصيرة) ١٩٤١ ٤٩ - مجلس العدل (مسرحيات قصيرة) ١٩٧٢
- ١٧ - تحت المصباح الأخضر (مقالات) ١٩٤٢ ٥٠ - رحلة بين عصرين (ذكريات) ١٩٧٢
- ١٨ - بحمدليون (مسرحية) ١٩٤٢ ٥١ - حديث مع الكوكب (حوار للسلي) ١٩٧٤
- ١٩ - سليمان الحكيم (مسرحية) ١٩٤٣ ٥٢ - الدنيا رواية هزلية (مسرحية) ١٩٧٤
- ٢٠ - زهرة العمر (سيرة ذاتية - رسائل) ١٩٤٣ ٥٣ - عودة الوضى (ذكريات سياسية) ١٩٧٤
- ٢١ - الرباط المقدس (روائية) ١٩٤٤ ٥٤ - في طريق عودة الوصى (ذكريات سياسية) ١٩٧٥
- ٢٢ - شجرة الحكم (صور سياسية) ١٩٤٥ ٥٥ - الحمير (مسرحية) ١٩٧٥
- ٢٣ - الملك أوديب (مسرحية) ١٩٤٩ ٥٦ - ليرة الشباب (مقالات) ١٩٧٥
- ٢٤ - مسرح المجتمع (٢١ مسرحية) ١٩٥٠ ٥٧ - بين الفكر والفن (مقالات) ١٩٧٦
- ٢٥ - فن الأدب (مقالات) ١٩٥٢ ٥٨ - أدب الحياة (مقالات) ١٩٧٦
- ٢٦ - عنالة وفن (قصص) ١٩٥٣ ٥٩ - مختار تفسير القرطبي (مختار الفهمين) ١٩٧٧
- ٢٧ - أرنى الله (قصص فلسفية) ١٩٥٣ ٦٠ - تحقيقات سنة ٢٠٠٠ (مقالات) ١٩٨٠
- ٢٨ - عصا الحكيم (مخبرات حواريه) ١٩٥٤ ٦١ - ملامح داخلية حوار مع المؤلف ١٩٨٢
- ٢٩ - تأملات في السياسة (فكر) ١٩٥٤ ٦٢ - التجاذب مع الإسلام والتجاذب (فكر فلسفي) ١٩٨٣
- ٣٠ - الأيدي الناعمة (مسرحية) ١٩٥٩ ٦٣ - الأحاديث الأربعة (فكر ديني) ١٩٨٣
- ٣١ - التصادية (فكر) ١٩٥٥ ٦٤ - مصر بين عهدين (ذكريات) ١٩٨٣
- ٣٢ - إيزيس (مسرحية) ١٩٥٥ ٦٥ - شجرة الحكم السياسي (١٩١٩-١٩٧٩) ١٩٨٥
- ٣٣ - الصلقة (مسرحية) ١٩٥٦

كتب للمؤلف نشرت في لغة أجنبية

شهر زاد : ترجم ونشر في باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لكونت
عضو الأكاديمية الفرنسية في دار نشر (نوفيل أديسيون لاتين) وترجم إلى
الإنجليزية في دار النشر (بيلوت) بلندن ثم في دار النشر (كروان)
بنيو يورك في عام ١٩٤٥ . وبأمريكا دار نشر (ثرى كنتنتز بريس)
واشنطن ١٩٨١ .

عودة الروح : ترجم ونشر بالروسية في ليننجراد عام ١٩٢٥
وبالفرنسية في باريس عام ١٩٣٧ في دار (فاسكيل) للنشر وبالإنجليزية
في واشنطن ١٩٨٤ .

يوميات نائب في الأرياف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩
(طبعة أولى) وفي عام ١٩٤٣ (طبعة ثانية) وفي عام ١٩٧٤ و ١٩٧٨
(طبعة ثالثة ورابعة وخامسة بدار بلون بياريس) وترجم ونشر بالعبرية
عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الإنجليزية في دار (هارفييل) للنشر بلندن
عام ١٩٤٧ — ترجمة أبا إيمان — ترجم إلى الأسبانية في مدريد عام ١٩٤٨
وترجم ونشر في السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١
وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١ .

أهل الكهف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخي
لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دي فوانس ثم ترجم إلى الإيطالية بروما
عام ١٩٤٥ وميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية في مدريد عام ١٩٤٦ .
عصفور من الشرق : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى ،

- ونشر طبعة ثانية في باريس عام ١٩٦٠ .
- عدالة وفن : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس بعنوان (مذكرات قضائي شاعر) عام ١٩٦١ .
- بجماليون : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- الملك أوديب : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ ،
- وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (ثري كنتنتز بريس)
بواشنطن ١٩٨١ .
- سليمان الحكيم : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠
- وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (كنتنتز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .
- نهر الجنون : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- عرف كيف يموت : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- الخرج : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠
- بيت القمل : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- وبالإيطالية في روما عام ١٩٦٢ .
- الزمار : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- براكسا أو مشكلة الحكم : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- السياسة والسلام : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (ثري كنتنتز بريس)
بواشنطن ١٩٨١ .
- شمس النهار : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثري كنتنتز)
واشنطن عام ١٩٨١ .
- صلاة الملائكة : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثري كنتنتز)
واشنطن عام ١٩٨١ .

- الطعام لكل فم : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كستنتر)
 واشنطن عام ١٩٨١ .
- الأبدى الناعمة : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كستنتر)
 واشنطن عام ١٩٨١ .
- شاعر على القمر : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كستنتر)
 واشنطن ١٩٨١ :
- الورطة : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كستنتر) واشنطن
 عام ١٩٨١ .
- الشیطان فى خطر : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .
- بين يوم وليلة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠
 وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٦٣ .
- العش الهادئ : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- أريد أن أقتل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- الساحرة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٣ .
- دقت الساعة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- أنشودة للموت : ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن هاينان عام ١٩٧٣
 وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٥٣ .
- لوعرف الشباب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- الكثر : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- رحلة إلى الغد : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ .
- وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كستنتر بريس) بواشنطن عام
 ١٩٨١ .
- الموت والحب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ .
- السلطان الخائر : ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن هاينان عام ١٩٧٣

وبالإيطالية في روما عام ١٩٦٤ .

يا طالع الشجرة : ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية في لندن عام ١٩٦٦ في دار نشر أكسفورد يونيفرسيتى بريس (الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس) .

مصير صرصار : ترجمة دنيس جونسون دافيز عام ١٩٧٣ .

مع : كل شيء في مكانه .

السلطان الحائر .

نشيد الموت .

نفس المترجم عن دار نشر هاينمان — لندن .

الشهيد : ترجمة داود بشاي (بالإنجليزية) جمع محمود المنزلاوى تحت عنوان « أدبنا اليوم » مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة — ١٩٦٨ .

محمد ^{صالح} : ترجمة د . إبراهيم الموجي ١٩٦٤ (بالإنجليزية) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣ .

المرأة التى غلبت الشيطان : ترجمة تويليت إلى الألمانية عام ١٩٧٦

ونشر روتن ولوننج بيرلين .

عودة الوعى : ترجمة إنجليزية عام ١٩٧٩ لبيلى ونلر ونشر دار

ماكملان — لندن .

الفهرس

الصفحة

١١ سر المتحرة
١٢١ نحو حياة أفضل
١٤٧ بين الحرب والسلام
١٦٥ نهر الجنون
١٨٣ الشيطان في خطر

الفصل الأول

(حجرة طبيب فخمة تتم عن نعمة ويسار ...
الدكتور محمود عزمى جالس إلى مكتبه يكتب ،
وهو قد جاوز الخمسين ، غير أنه يحتفظ بنشاطه
واعتماد قائمته ... يدخل المريض سالم ...)

محمود : سالم ... أقفل باب العيادة ولا تفتح لخلوق حى ...

سالم : وإذا حضرت الأنسة التى ..

محمود : إذا حضرت الأنسة التى ... فلا تفتح ! ... فهمت ؟ ...

سالم : والمرضى ؟ ..

محمود : المرضى والأصحاء سواء ... مفهوم ؟ ...

سالم : مفهوم ... (بصوت خافت) أبدأ غير مفهوم ... ،

(يخرج سالم ويستأنف الطبيب الكتابة ... يدوى

جرس التليفون على المكتب ...)

محمود : (فى التليفون) ألو ، أنا الدكتور محمود عزمى ، نعم يا

عزيزى ... المحاضرة فى تمام السادسة ، إذا سكت عنى الباب

والتليفون ، أنا أكتب الآن الجزء الأخير منها ... ماذا ؟ ..

— ١٢ —

آه طبعاً ... واثق كل الثقة ... أنا أبالغ في تقدير أثر السن على
النفس والجسم ؟ ... لا بأس ... انتظر ... عما قليل ربما
أقتعنك ... إلى الملتقى ... (يضع السماعة ... يدوى
جرس الباب ...) الآن دور الباب ..

سالم : (يدخل) سيدى الدكتور ...

محمود : نعم ؟ ... عارف ...

سالم : الحلاق ...

محمود : فتحت له ؟ ...

سالم : طبعاً .. اليوم ميعاده ..

محمود : ألم أقل لك لا تفتح لمخلوق حتى ؟ ...

سالم : ! الحلاق يا سيدى لينس ...

محمود : ليس بمخلوق حتى ؟ ! ...

سالم : أقصد ليس من الزائرين ولا المرضى ..

محمود : أولاً تعرف أن الحلاق ألعن من الزائرين والمرضى ؟ ... من

يغطيح اليوم أن يضيق على ساعة المحاضرة غير

حلاق ؟ ... اطروحة في الحلق ...

سالم : سيدى الدكتور لم يخلق ذقنه من ثلاثة أيام ...

محمود : (وهو يكتب) في مقدورى أن أعيش أيضاً يوماً آخر بدون

أن أخلق ذقنى ...

— ١٣ —

سالم : أربعة أيام بدون حلقة ١٩ ...

محمود : أتستطيع أن تخبرني ما الذي يجري في الفلك إذا كانت ذقني لا تخلق أربعة أيام ...

سالم : رأسك أيضا يا سيدي الدكتور. قد طال شعره واستحق المقص ...

محمود : بل لسانك هو الذي استحق المقص ...

سالم : سيدتي أوصتني مرة أن أذكر سيدي بمثل هذه الأشياء ...

محمود : لقد ذكرتني وبلغتني وقعت بالواجب وزيادة ... استرحت الآن واطمأن قلبك ؟ ...

سالم : ولكن يا سيدي الدكتور ...

محمود : ألا تريد أن تتركني أكتب ؟ ..

سالم : أو ينصرف الحلاق هكذا يخفي حنين ؟ ...

محمود : ينصرف برأسك وذقنك ، إذا شئت فليخلق لك أنت ...

(يخرج سالم ...)

(يستمر الدكتور في الكتابة ...)

سالم : (يعود مسرعا) سيدي ؟ ...

محمود : ماذا جرى أيضا ؟ ...

سالم : وأنا أهم بغلق الباب خلف الحلاق وقف المصعد أمام بابنا

ولمحت فيه سيده ...

— ١٤ —

(جرس الباب يدق) ها هي ...

عمود : صه ... لا تبدحراكاً ... إنا لسنا هنا ... لا أحد هنا ...
(لحظة صمت ، ثم يعود دق الجرس في شدة)

سالم : الدق يشتد ..

عمود : لا ضرر ...

سالم : أخاف أن ينزعج جيراننا في الطابق ...

عمود : انزعجهم خير عندي من انزعاجي ...

(الطرق يزداد بشدة ...)

عمود : (لسالم) قف مكانك ... إلى أين ؟ ...

سالم : أستطلع على الأقل من القادم

عمود : إياك وفتح الباب ...

(الخادم يخرج ... ولا يلبث أن يعود مسرعاً بعد

لحظة ...)

سالم : فتحت ...

عمود : لا أفتحت ! ... قبحك الله من محرض ! ...

سالم : (كمن يلهث) تلك سيدتي بلاليب ! ...

عمود : (يرفع رأسه) سيدتك ؟ ... فما أتى بها الساعة ؟ ...

إقبال : (من الخارج بعد لحظة) ما شاء الله ! ... ما معنى إغلاق

باب العيادة على هذه الصورة ؟ ...

(ثم تدخل ... وهى سيدة فى الخامسة

والثلاثين ، ذات ملاحظة وأناقة وثيابها ثينة من

أحدث طراز ... وهى تعنى كثيراً بشأنها)

إقبال : (لسالم دون أن تلفت إلى محمود) من معى هنا ؟ ...

(تبحث بعينها فى أنحاء المكان. ثم توجه إلى الساتر

وتبحث خلفها)

محمود : (فى هدوء) تبحثين عنى ؟ ...

إقبال : أجبني أولاً بصراحة ، هل أنت وحدك هنا ؟ ...

محمود : (باسم فى شبه تهكم وهو يدير عينيه باحثاً فى أنحاء

الحجرة) أنا ؟ ... لست أدري ... لقد رأيت بعينيك

النجلاوين ...

إقبال : (وهى تخلع قفازها الثمين الأنيق) هذا غريب ...

محمود : أغرب منه قدومك الآن إلى محل عمل على هذه الصورة

البوليسية ! ...

إقبال : (أيسووك) قدومى إلى محل عملك الآن ؟ ...

محمود : بلا سبب ؟ ..

إقبال : لا شىء فى الدنيا بلا سبب ...

محمود : ما هو السبب ؟ ... جمال عادت إليه النزلة للمعوية ؟ ...

إقبال : لا ... جمال فى صحة جيدة ، ولو كان مريضاً لاستدعيت

له الدكتور أسعد كللعتاد ... وكفى ...

محمود : إذن ما السبب ؟ ... هل رجع من المدرسة وتلقى درسه
الخاص ؟ ...

إقبال : نعم ... وقد غادرته مع مدرسه الشيخ عبد العظيم ...
محمود : (ينظر إليها فاحصاً) وأنت صحتك كذلك جيدة فيما
أرى ... وإنك لغاية في الرشاقة ، وثوبك غاية في
الأناقة ...

إقبال : (في برود) نعم ... غاية في الأناقة والرشاقة ...

محمود : إذن ما الذي جرى في الفلك ؟ ...

إقبال : أتريد أن تعرف ما الذي جرى في الفلك ؟ ..

محمود : (في همك) ذقني لم تحلق منذ ثلاثة أيام ...

إقبال : لا شأن لي اليوم بذهبك ...

محمود : اليوم ؟ ...

إقبال : (في تحامل) الرجل الكهل لا تنفع فيه زينة ...

محمود : (في جدوى وابتسام) هذا رأي دائماً ... وأنت تعلمين أني

لم أزعج يوماً غير ذلك ... (ويشير إلى ملبسه البسيطة

وإلى شأنه المهمل) ...

إقبال : (يتسمر) من وخط أغلب شعره الشيب لن ينفع فيه

محضاب ...

محمود : أنت تعلمين كذلك أنى لم أفكر يوماً فى خضاب شعرى ...

إقبال : (تستمر) من عمره اليوم قد جاوز الخمسين ...

محمود : (باسمها) خريفاً ...

إقبال : نعم ... خريفاً .. أى يكبرنى بتسع عشرة سنة ...

محمود : (فى تسامح) فى الحساب غلطة صغيرة يا عزيزتى ... لكن
لأبأس ...

إقبال : (تستمر) ولقد مضى على زواجنا خمسة عشر عاماً ...

محمود : هذا صحيح ... كل هذا صحيح ولا نزاع فيه ... ثقى

بذلك ... وإذا كنت قد تجشمت وجئت من البيت اليوم إلى

هنا كى تفضى إلّى بهذه المعلومات الخطيرة ؛ فأنت ولا

ريب قد أضعت هذا العصر سدى ، وحرمت نفسك التزهة

والزيارات وبهجة الدنيا ومتاعها ...

إقبال : هذه المعلومات الخطيرة أنت الآن تتجاهلها ...

محمود : من أدراك ؟ ...

إقبال : هذه العيادة المغلقة على نحو مربب ، ووجودك هنا تنتظر ...

محمود : (باسمها) تشريفك ...

إقبال : بل من هو خير منى ...

محمود : المرضى ...

إقبال : أتستطيع أن تخبرنى أى طبيب يغلق بابه مثلك ؟ ...

(سر المتحرة)

— ١٨ —

محمود : نحن يا عزيزتى أغنياء .. ولسنا فى حاجة إلى المرضى ... وأنا

كما تعلمين طبيب استشارة ؛ لا طبيب علاج ..

إقبال : نعم ... أغنياء حقيقة ... وهذه الثروة الكبيرة هى التى

تطمع فيك بعضهم ... ولا تظن شيئاً غير ذلك ..

محمود : تقى أنى لا أظن شيئاً غير ذلك ..

إقبال : مهما قالت لك امرأة ..

محمود : ليس لى كلام مع النساء ...

إقبال : إنى أخشى أن يلعبن بلبك ...

محمود : اطمئنى ... إنى أعرف بهن منك ...

إقبال : لو كنت تعرفهن لما ضحكت منك هذه الفتاة ...

محمود : أى فتاة ... ؟

إقبال : أتحسب شيئاً يخفى فى هذا البلد ؟ ...

محمود : هذه الفتاة مجنونة، وقد أخبرتك بأمرها من أول يوم .. ولو أنك

أحسنست لى الظن لفهمت أنى إنما أغلق بابى على هذه الصورة

حتى لا تدخل هذه الفتاة ..

إقبال : إذن كيف انتشر الخبر ؟ ...

محمود : أى خبر ؟ ...

إقبال : إنك ستقترن بها ...

محمود : أقترن بها ؟ ... لماذا ؟ ... وأنت أين تذهبين ؟ ...

إقبال : تطلبنى ... أو تبقينى وتدخلها ضربة على ! ...

— ١٩ —

محمود : أبعد هذا الزمن ؟ ... أو تصدقين ؟ ...

إقبال : وإذا حدث ذلك ؟ ...

محمود : يحدث في كهل غافل ... فهل أنا كذلك في رأيك ؟ ...

إقبال : سمعت في البيوت همساً بأن هذه الفتاة تحبك ، وتقسم أنها لن

تتزوج سوى محمود !؟ ...

محمود : محمود !؟ ..

إقبال : نعم ... بهذا الاسم ... محمود أو تموت ...

محمود : (في تهكم) مسكينة ! ...

إقبال : مع أن لها ثلاث شقيقات متزوجات من رجال محترمين أصغر

منك سنأ ، فهل حسبتك هذه البلهاء لقطة ... ثنق أن

شقيقاتها سوف يهزأن بها ويعيرنها بالكارثة التي بلاها بها

الزمن في شخصك ...

محمود : مؤكد ...

إقبال : هذه الفتاة ولا شك حمقاء بلهاء عمياء ...

محمود : بدون شك ...

إقبال : ومع ذلك من يدرى سرها ؟ ... لست أفهم ماذا أعجبها

فيك ؟ ... فلا شباب عندك ، ولا جمال ، ولا رشاقة ، ولا

أناقة ، ولا لطف ، ولا ظرف ، ولا حلاوة كلام ، ولا خفة

دم ، ولا ...

— ٢٠ —

- محمود : (مقاطعاً) إلى آخره ... إلى آخره ...
- إقبال : حقيقة ليس عندك مطلقاً شيء يحب ...
- محمود : عندي شيء يحب ...
- إقبال : ماذا عندك يحب ؟ ...
- محمود : زوجتي المحبوبة التي هي أنت ...
- إقبال : (مستمرة) دعنا من هذا الملق الرخيص ... أنت لا شيء
- يحب فيك إلا ثروتك ... هذا كل ما لديك ...
- محمود : هذا ما يشفع لي عندك أنت على الأقل ...
- إقبال : وعند تلك الفتاة ...
- محمود : يدهشني مع ذلك أنها ليست من أسرة فقيرة ...
- إقبال : وما يمنع ؟ ...
- محمود : صدقت ، لا مانع مطلقاً عند النساء ...
- إقبال : (بعد لحظة) ومع هذا كله هب أنها كانت مغفلة
- وأحببتك ...
- محمود : وماذا تريد أن أصنع للمغفل ؟ ...
- إقبال : هب أنها استطاعت اللعب بلبك هذه الفتاة ...
- محمود : (يعبس فجأة . ويعود إلى قلمه) إقبال ! ... لقد نفذ
- صبري ... أرجوك ... أرجوك .. لاتضيعي وقتي أكثر من
- ذلك بهذا الكلام ... إن لدى الساعة عملاً أهم عندي من

— ٢١ —

الحديث في اللب والحب ...

إقبال : محمود ... زوجى ...

محمود : سبحان الله ! ... ما الذى جرى لك ؟ .

إقبال : أنت رب أسرة تعيش الآن هانئة ...

محمود : رب أسرة ، وزوج ، وأب ، وكل ما تريدن .. إلى أعرف

واجباتى أضعاف ما تعرفين ...

إقبال : اذكر أى فضيحة تلحق بى عند الناس لو أنك أقدمت على

ذلك ...

محمود : أهذا كل ما يروعك من الأمر ؟

إقبال : هذا ليس هيناً أن يقال فى مثل بيتنا إنك تزوجت على

أخرى ، ولم أزل فى مقتبل العمر ...

محمود : ثقى قليلاً برزاة هذا الكهل الذى هو أنا ...

إقبال : ومن يضمن لى هذه الرزاة ؟

محمود : ماضى الطويل الذى لا غبار عليه ..

إقبال : لست أنكر عليك ماضيك ؛ وإنى حقيقة أشهد لك بالعقل

الرصين طول تلك السنين ... ولكن الإنسان فى ساعة

واحدة قد ينسى كل شئ ويرتكب حماقة لا تغتفر ...

محمود : (فى اقتناع) هذا خطأ مبين ...

إقبال : أعرف مع ذلك بأشخاصا وأسمع عن أناس كانوا

— ٢٢ —

مثلك ...

محمود : ليس مثلى أحد من الناس ...

إقبال : كل الرجال سواء ..

محمود : إني رجل كهل ، خبير الأشياء ، وزهد في الدنيا ، وإن للسن

قانونه ...

إقبال : لست أعترف بقانون لمثل هذه الأشياء ...

محمود : بالطبع ... باعتبارك امرأة لا يمكن أن تعترفى بحكم

السن ...

إقبال : نعم ... امرأة تحكم بشعورها دائماً ، وهو وحده أصدق

من كل قانون .

محمود : لو أن في قاعة المحاضرات اليوم متسعا لوقتك الثمين لطلبت

إليك الحضور كي تعرفى ... سأحدث عن علاقة النفس

البشرية بالزمن والسن ...

إقبال : تريد منى أيضاً أن أستمع إلى محاضراتك ... كلا ...

كلا يا سيدى العزيز ... إن خياطتى تنتظرني منذ

ساعة ...

محمود : (ناظراً إليها) خياطتك طبعاً ...

إقبال : نعم خياطتى ... لماذا ترمقنى بهذه النظرة ؟ ...

محمود : أتساءل لمن تلبسين وتزينين ؟ ...

إقبال : هذا سؤال لا يلقي على امرأة ...

محمود : أنت ربة أسرة وزوجة وأم غلام جاوز السنوات العشر ...

إقبال : (كاظمة) أنت لا تجهل أنى صغيرة السن ..

محمود : (فى تهكم خفى) نعم ... إلى الأبد ... لأجهل ذلك ...

إقبال : (تنفجر غاضبة) لا شأن لك بى ولا بسنى ... إنى ماجئت

لأتحدث فى سنى ... حدثنى أنت عن نفسك ، وعن

سنى ، وعن شيبك وقبحك وثقل دمك ! ...

محمود : عدنا إلى الكلام فى ثقل دمنى ! ...

إقبال : ما لك والغير ؟ ... تكلم فى شأنك أنت ...

محمود : لا تغضبى ... هولى عليك .. ليفتر ثغرك عن الابتسام ...

إقبال : انظر فى المرأة إلى هذه التجاعيد حول عينيك ...

محمود : إنى معترف أنك صغيرة السن دائماً ... وأن كل قوانين

السن والزمن لا تنطبق عليك ، فهل من جناح على فى هذا

الاعتراف ؟ ...

إقبال : (فى غضب) سأصرف ...

محمود : بهذه السرعة ..

إقبال : أين سيارتى ؟ ...

محمود : (فى تهكم) أتبحثين عنها فى هذه الحجرة ؟ ..

إقبال : (توجه إلى النافذة) بل فى الشارع .. إنى لا أراها من هذا

— ٢٤ —

العلو الشاهق ... (تتحرك نحو الباب) ولكن ... ولكنى

لا أستطيع الاطمئنان إلا إذا ضمنت لى ...

محمود : أتعودين إلى مثل هذا الموضوع ؟ ...

إقبال : كلمة واحدة هى الأخيرة ... اضمن لى كتابة كى

أطمئن ..

محمود : أضمن لك ماذا ؟ ...

إقبال : أنك لن تفعل ذلك ...

محمود : لن أفعل ذلك ...

إقبال : كلا ... اضمن لى كتابة ... (تقترب من المكتب وتأخذ

ورقة وقلم) ها هى الورقة ، وها هو القلم ... اكتب ...

محمود : (يتناول منها الورقة والقلم) أكتب ماذا ؟ ... اللهم

رحماك وعفوك ورضاك ! ...

إقبال : (تملئ) اكتب ... أتعهد أنا محمود عزمى بأننى لن أتخذ لى

زوجة غير زوجتى إقبال ما حييت ...

محمود : ألا تثقين لى ؟ ... ألا يوجدينا ثقة متبادلة ؟ ...

إقبال : اكتب ...

محمود : يا لعقول النساء ! ... (يكتب) أتعهد أنا محمود

عزمى ... «إلخ إلخ» ...

إقبال : اكتب أيضاً : « وإذا فعلت لأى سبب من الأسباب أدفع لها

— ٢٥ —

فورا مبلغ خمسين ألف جنيه نقدا ..

محمود : خمسين ألف جنيه ؟ ...

إقبال : أتستكثر المبلغ ؟ ...

محمود : بالعكس ... هذا ثمن بخس تبيعيننى به ..

إقبال : وقع بامضائك فى ذيل الورقة ...

محمود : الإمضاء والتاريخ وكل ما تطلبين ... ألك طلبات أخرى أو

أوامر ؟ ...

إقبال : كلا ... هات الورقة . (تأخذ الورقة وتضعها فى حقيبة

يدها التى تحملها .) الآن أنت ...

محمود : الآن أنا حر ؟ ! .. أليس هذا ما تقصدين ؟ ...

إقبال : (تتحرك إلى الباب) إلى الملتقى ...

محمود : (وهو يتبعها بنظره إلى أن تخرج) إلى الملتقى القريب يا

سيدتى ... أف ! ...

(ثم يعود إلى المكتب ويجلس إليه ويستأنف

الكتابة)

سالم : (يدخل) سيدى الدكتور ! ...

محمود : (وهو يكتب دون أن يرفع رأسه) ماذا تريد أيضاً ؟

سالم :. إذا طرق الباب مرة أخرى ...

محمود : (يرفع رأسه منتهراً) اخرس ! .. لدى أعمال أخرى ...

أنظل طول اليوم تتكلم فى طرق الباب وفتحہ ١٩ ..
سالم : لا أفتح ... فهمت ... (فى صوت خافت) بل والله لم
أفهم ...

(يخرج ... وما يكاد يختفى حتى يطرق
الباب ...)

(محمود يرفع رأسه وينظر فى الساعة ، ثم يعود
إلى الكتابة ...)

(سالم يظهر حائراً بباب الغرفة فيلقى سيده
مشتتلاً بالكتابة غير آبه فيرتد على أعقابہ ...
الطرق يشتد كثيراً . ثم يسمع صوت زجاج
يكسر وينهار على الأرض ، وأنسة صاحبة فى
صوت عصبى)

(يستمر الطرق فى فترات دون مجيب ثم يشتد إلى
حد مزعج ...)

سالم : (صالحة فى الخارج) انتظرى ... انتظرى ... إن الله مع
الصابرين ...

الآنسة : (صالحة فى الخارج) افتح قبل أن أحطم بقية الباب ...

سالم : (فى الخارج) الدكتور ليس هنا ..

الآنسة : (فى الخارج) أنت كاذب ... إنه هنا ...

(ثم يسمع صوت الباب يفتح ويفلق)

سالم : (يسرع داخلا) فتحت يا سيدى ... أو على الأصح ...

بمحمود : (وهو يكتب غير آبه ناظراً إليه) بلغنا ما حصل ...

عزيزة : (وهى الآتية ، تدخل برغم سالم ، وهى فى الثامنة عشر

ريبعاً ، جميلة أنيقة ... تنظر إلى محمود وتقول لسالم) ليس

هنا ، أما هذا فتمثاله ، تمثال رخامى بديع ... أليس

كذلك ؟ ...

محمود : (وهو يكتب دون أن يرفع رأسه) رح يا سالم وأحضر

فنجانين من القهوة من غير كلام ...

(تجلس على مقعد فى صمت تنتظر أن يبدأ محمود

الحديث)

(محمود بعد لحظة يرفع رأسه أخيراً ، ولكن كى

يحك ذقنه بالقلم مفكراً)

عزيزة : (نافذة الصبر تتململ) وأخيراً ؟ ...

محمود : (يلتفت إليها) أتكلميننى أنا يا سيدتى ؟ ..

عزيزة : (فى كظم) ما معنى كل هذا ؟ ...

محمود : كل هذا ماذا ؟ ...

عزيزة : (تحاول الهدوء) هذه الأبواب المغلقة ، كأنها أبواب قلعة

محصنة ! ...

— ٢٨ —

محمود : أكانت الأبواب مغلقة ؟ ...

عزيزة : ألم تسمعي أحطمها تحطيمًا ؟ ...

محمود : أو حطمتها تحطيمًا ؟ ... برافو ! ... أهشك على هذا الفتح

المبين ! ...

عزيزة : (في كظم يدهشني أنك تعلم كل العلم أني سأجىء في هذا

الوقت ، ومع ذلك ...

(لحظة صمت ...)

محمود : (بدون أن يلتفت إليها) كيف صحتك اليوم ؟ ...

عزيزة : سيئة ...

(محمود يرفع رأسه ويمدق فيها بنظرة

فاحصة .)

عزيزة : ألا تصدقني ؟ ...

محمود : (وهو ينظر إليها فاحصًا متهمًا ...) حقيقة .. إن

حالتك غاية في السوء ... في مرحلة الخطر ! ...

عزيزة : لو تعلم كم أحس الضعف ...

محمود : حقاً ... ضعف شديد ... وصل إلى حد القدرة على أن

تحطمي باب الطبيب تحطيمًا ...

عزيزة : لا تهكم ... أنت تراني شاحبة الوجه ...

محمود : القمر كذلك شاحب الوجه ...

- عزيزة : (مبتسمة) أترى وجهى كوجه القمر ؟ ...
- محمود : أليس لديك مرآة ؟ ... المرآة لا تفارق حقيبة امرأة ...
- سليها فهي عندكن أصدق من الطبيب ...
- عزيزة : (تلتفت إلى مرآة الحائط) لست أرى فى المرآة ما تقول .
- محمود : ليست هذه غلطتى ..
- عزيزة : (تنظر إلى محمود) إلى أرى وجهك أنت أكثر شها
- بالقمر ...
- محمود : (فى صدمة) أستغفر الله العظيم ا ..
- عزيزة : ثق أن وجهك أنت ...
- محمود : وجهى أنا ...
- عزيزة : أنضر من وجهى
- محمود : وجهى أنا أنضر من وجهك ؟ ...
- عزيزة : بالتأكيد ..
- محمود : (يشير بإصبعه إلى وجهه) وجهى هذا تقصدين ؟ ...
- عزيزة : وهل لك وجه غيره ؟ ...
- محمود : (يشير إلى وجهه ثم إلى وجهها) وجهى هذا أحسن من
- وجهك هذا ؟ .
- عزيزة : نعم ...
- محمود : ساحك الله يا سيدتى .. أخجلت تواضعى أكثر مما ينبغى يا

— ٣٠ —

سيدتى ...

عزيزة : ألا تعتقد هذا ؟ ..

محمود : اعتقدت الآن فقط أنك مريضة حقيقة يا سيدتى ...

عزيزة : قلت لك مراراً لست أحب لفظ « يا سيدتى » ...

محمود : يا آنستى ..

عزيزة : ولا هذا أيضاً ..

محمود : يا مريضتى ...

عزيزة : إذا شئت .. ولكن أفضل ذكر اسمى مجرداً ..

محمود : وما اسمك مجرداً ؟ ...

عزيزة : أتجهله ؟ ... هذا مستحيل ... إنى أحادثك كل صباح

بالتليفون ، وأذكره لك . وطالما نادتنى به أمامك أختى

الكبرى أو والدتى يوم كانت تأتى معى هنا ...

محمود : معذرة ... لقد نسيت ...

عزيزة : إلى هذا الحد ؟

محمود : فى مثل سنى تصبح الذاكرة ضعيفة .

(عزيزة تصمت فى غيظ ...)

محمود : أضعف من صحتك .. ألا تصدقين ؟ ...

عزيزة : (فى كظم) صدقنى ... أنك لست سهلاً ولا بسيطاً ..

(لحظة صمت ..)

— ٣١ —

عزيزة : ومنذ متى نسيت اسمي ؟ ...

محمود : لست أذكر التاريخ ..

عزيزة : حتى هذا أيضاً ؟ ..

محمود : نعم ..

عزيزة : لقد حادثتك هذا الصباح بالتليفون ...

محمود : وماذا قلت ؟ ...

عزيزة : إنك ولا شك تنسى كل ما له علاقة بي ..

محمود : إني معترف ...

عزيزة : نعم (بعد لحظة) قلت لك هذا الصباح أنا زيزى التى

تكلمك ، وسأتى إليك فى منتصف السادسة ...

محمود : زيزى ... هذا اسم بديع ..

عزيزة : (عابسة) كفى ...

محمود : (ناظراً إليها) غضبت ...

عزيزة : نعم ... لأول مرة أغضب عليك وأكرهك ..

محمود : (فى حركة تمثيلية ساخرة) هكذا مرة واحدة ! ...

عزيزة : إنك تستطيع أن تحادثنى بكلام أرق من هذا ... لماذا

أحادثك أنا بكلام لطيف ؟ ..

محمود : لأنك سيدة لطيفة ...

عزيزة : هل فى الوجود من يصدق أن مثلك يصنع هذا مع مثلى؟..

— ٣٢ —

محمود : تلك ولا شك إحدى العجائب ...
عزيزة : إنك كنت تكلمنى كلاماً عذباً يوم جئتكَ مريضة
بالصداع ... ألا تذكر .. وكنت تعنى لى أشد عناية ...
وكان اهتمامك الحار يكتنفنى من كل جانب . إلى لم أزل
أذكر كلامك الرقيق يومئذ ...
محمود : الكلام الرقيق نحفظه هنا للمرضى ..
عزيزة : ليتنى كنت مريضة ...
محمود : أراك قد اعترفت الآن أنك بخير ..
عزيزة : إنك تعاملنى معاملة قاسية .. قاسية جداً ...
محمود : المعاملة التى يستحقها أمثالك ...
عزيزة : أمثالى ؟ ! ...
محمود : نعم .. الذين يجهلون للعبث بوقت الطبيب ! ...
عزيزة : (فى غضب) أشكرك يا محمود ...
محمود : (فى تجهم) من فضلك قولى « يا دكتور » ...
عزيزة : (فى امتعاض) ألا تحب أن أناديك هكذا ؟ ...
محمود : لا أحب ...
عزيزة : ولم لا ؟ ...
محمود : لأن من يملك حق ندائى باسمى الجرد شخص واحد :
زوجتى ...

— ٣٣ —

عزيزة : (تطرق) آه ... إني آسفة ..

محمود : أماكنت تعلمين أنى زوج ؟ ...

عزيزة : أعلم ...

محمود : وأنى والد كذلك ؟ ...

عزيزة : أعرف ...

محمود : وبرغم هذا تأتين كل يوم لتمثيل هذه المهزلة ...

عزيزة : (مصدومة) تمثيل هذه المهزلة ... ماذا تعنى بهذا ؟ ...

محمود : أرجو منك أن تحسنى لى الظن قليلا أيتها الأنسة ...

عزيزة : لست أفهم ما تريد ...

محمود : (يشير إلى سؤالقه) أترين هذا الشيب ؟ ..

عزيزة : ؟ ...

محمود : (يشير إلى جبينه ووجهه) وهذه التجاعيد ؟ ...

عزيزة : ؟ ..

محمود : إنها قد تدل أحيانا على شىء آخر غير البله وغير الغفلة ...

عزيزة : (تنفض ، ثم تتكلم بجهد) إنك لتهيننى بهذا القول ...

محمود : إني أدافع عن نفسى ...

عزيزة : (فى خطورة) ماذا تعنى بكلامك ؟ ...

محمود : أظن أن كلامى واضح ...

عزيزة : هذا أمر شنيع ما ترمينى به ..

(سر المتحررة)

محمود : لست أرميك بشيء ... هونى عليك ودعينا من هذا
كله ... الساعة الآن (ينظر فى ساعته) ساعتى وقفت ...
كم الساعة فى معصمك ؟ ...

عزيزة : (تغالب دموعها) أنا أمثل مهزلة ...
محمود : (وهو يشتغل بملء ساعته) تمثلين مهزلة أو تمثلين
مأساة ... هذا أمر يرجع إلى طبيعتك ، وقدرتك ،
ومواجهتك فى التمثيل ... المهم أن نختصر كل هذه المواقف لأن
وقتى ضيق ...

عزيزة : (فى صوت خافت مخنق) أشكرك ...
محمود : (وهو يفحص ساعته) العفو ...
عزيزة : (تسيل العبرات من عينيها) ؟ ...
محمود : (يرفع رأسه عرضاً بعد فحص ساعته فيراها) أتبين
بدموع حقيقية ١٩ ...

عزيزة : (تخرج منديلاً من حقيبة يدها وتمسح بعينيها) ؟ ...
محمود : شهدت وآمنت أنك بارعة ؟ ... (ينظر إليها لحظة)
كفكفى سريعاً هذه الدموع .. ولنستعد .. لدى محاضرة
ألقيا بعد نصف ساعة .. وإذا أردت أن تسدى إلى يداً
حقيقية فأعيرنى سيارتك حتى كلية الطب .. فقد ذهبت
زوجتى بسيارتها إلى الخياطة .. وسيارتى سائقها مريض ...

— ٣٥ —

ولعل العناية الإلهية ما أرسلتك الآن فيما أرى إلا لهذه الغاية
السامية : خدمة العلم ... أليست سيارتك بالباب ؟ ...
(يفتح النافذة وينظر إلى الشارع ...)

عزيزة : (مطرقة) ؟ ...

محمود : (يترك النافذة ويعود بعد أن يحاول عبثاً رؤية ما أراد) يا
آنسة ... أخبريني ! ... ما هو لون سيارتك ؟ ...
عزيزة : (ترفع رأسها) أتستطيع أن تخبرني لأى غرض أمثل المهزلة
والمأساة ؟ ..

محمود : لقد فرغنا من هذا الموضوع ...

عزيزة : لى الحق أن أسألك ..

محمود : ليس لدى الوقت الآن ... أرجوك .. قدرى ما أنا فيه من
عمل جدى ووقت ضيق ...

عزيزة : (فى قوة مخيفة) إنك لن تبرح هذا المكان قبل أن أعلم ..

أتسمع ما أقول ؟ .. لن تبرح ... لن تبرح ...

محمود : أتوعدين ؟ ...

عزيزة : نعم .. أتوعد ... إنك لا تدرك ما أستطيع أن أفعل ..

محمود : ماذا تستطيعين أن تفعل ؟ ...

عزيزة : إنك لا تعرفنى ...

محمود : طبعاً ... ومنذا يعرف المرأة ؟ ...

عزيزة : أخبرني ما هو الغرض الذى تزعم أنى ...
 محمود : أتريدى أن تعرفى هذا الغرض ؟ ... بسيط جداً ، وواضح
 جداً ، ومعقول جداً : غرض كل حسناء أنيقة تلاطف
 كهلاً ثرياً ...

عزيزة : (تتجلد) ثرياً ؟! ...
 محمود : (باسمها) طبعاً .. لأن الكهل الفقير يساوى عندكن
 بالضبط شروى فقير ...
 عزيزة : (لا تناسك) أنت وغد ...

(محمود يفاجأ .. يتغير وجهه ... لكنه
 يتناسك ، وعندئذ يدخل سالم حاملاً صينية عليها
 فنجانان من قهوة ويتقدم إلى عزيزة فلا
 تتحرك ... ويلفظ خافاً : « القهوة » فلا
 تتحرك وتظل فى إطرافها ... فالتفت إلى سيده ،
 فيلقاه كذلك مشغولاً عنه وعن القهوة وهو فى
 إطراق كذلك وتقطيب ... وتردد سالم حائراً
 فيما يصنع ... ويبدو له أخيراً أن يضع الصينية
 فوق مائدة صغيرة قرب المقاعد وينصرف وهو
 يتقل عينيه بين الاثنين الجامدين فى دهشة
 لأمرها ...)

محمود : (بعد لحظة يرفع رأسه) هذه أول مرة في حياتي يوجه لى هذا اللفظ ...

عزيزة : (لا تتحرك) ؟ ...

محمود : (بعد لحظة صمت) ماذا في جعبتك أيضاً أيتها السيدة المهذبة ؟ ...

عزيزة : (لا تتحرك) ؟ ...

محمود : أرى الموقف قد طال ... اعلمى أيتها الأنسة أنى جاوزت السن التى يضيع فيها وقتى فى مثل هذه السخافات ... لو كنت شابا فى العشرين أو الثلاثين لكان هذا طبيعياً ومعقولا ... ولكن وضعى لا يحتمل ذلك ...

عزيزة : (فى صوت متغير) وهل تظن امرأة فى موقفى الآن تستطيع احتمال ذلك ؟!

محمود : ستبكين من جديد ؟! ...

عزيزة : (تماسك وتكتم بمجهود ظاهر) أنت مخطيء! إنى فى غاية الهدوء ... (تشير إلى صنية القهوة) هل تأذن لى فى تناول فنجان القهوة ؟ .. (تمدها إلى الفنجان) شكراً ...

محمود : (ينظر إليها ساخراً وهى ترشف القهوة) احترسى حتى لا تسقط دموعك فى الفنجان ..

عزيزة : لا شأن لك بدموعى ... قلت لك إنى هادئة ...

— ٣٨ —

(صمت ...)

عزيزة : (بعد لحظة) الى أن أقول لك كلمة ؟ ... كلمة واحدة فقط ...

محمود : لك كلمتان يا سيدتى ...

عزيزة : ماذا تحب أن أفعل كي تعتقد أنى لست أمثل مهزلة ، وأنى جادة فيما أقول .. وأنى فى أشد الحاجة إليك ، وأنت أنت الذى تستطيع أن ...

محمود : (فى تهكم) أهذه هى الكلمة الواحدة ؟ ...

عزيزة : أرجو منك أن تجيب عن سؤالى ...

محمود : هذا موضوع إن فتح اليوم فلن يقفل ...

عزيزة : أرجو أن تجيب ...

محمود : الآن مستحيل ... غداً إذا شئت ... إنى أعلم أنك ستأتين أيضاً فى الغد ...

عزيزة : كلا ... أنت مخطيء ... لن آتى فى الغد ...

محمود : ستأتين بعد غد إذن .. أو بعد بعد غد ..

عزيزة : أعدك أنك لن تترانى إلى الأبد ...

محمود : حسن ... إذن أجيئك عن سؤالك الآن فى الحال ... هاتى أولاً السؤال ...

عزيزة : قلت لك ماذا أفعل فى رأيك حتى تصدقنى ؟ ...

— ٣٩ —

محمود : ماذا تفعلين حتى أصدقك ؟ ...

عزيزة : نعم ... ماذا أفعل ؟ ... ماذا ينبغي أن أفعل ؟ ...

محمود : لا تفعل شيئا مطلقاً ...

عزيزة : دع المزاح ... إني في أشد مواقف حياتي جداً وحرماً ...

إني شقية .. إني تعسة ...

محمود : (ساخراً) يا للهول ! ...

عزيزة : متى تصدقني ؟ ... تكلم ... أرجوك ! ...

محمود : أصدقك في العالم الآخر إن شاء الله ! ... لأنني لا أصدق

امرأة في عالمنا هذا ...

عزيزة : لن أستطيع الاعتماد عليك إذن ؟ ... خاب أمل فيك ! ...

محمود : تمام .. وأنصحك بإخلاص ألا تضيعي وقتك معي ...

عزيزة : لن تنقذني إذن ؟ ... لا تريد أن تنقذني مما أنا فيه ..

محمود : أنقذى أنت وقتي ... أرجوك يا آنسة ! ...

عزيزة : وهو كذلك ... (هامسة) لن أضايقك ... لن أضايق

أحداً بعد اليوم ! ... (تمديدتها إلى فئجان القهوة الآخر)

أنت لن تشرب هذا الفئجان الآخر ؟ ...

محمود : تفضلي ...

عزيزة : (ترتشف الفئجان الآخر في بطء) متشكرة ! ...

محمود : وأخيراً يا آنستي يحسن الآن أن ينزل الستار الختامى على هذه

القصة المؤثرة ...

عزيزة : (فى هدوء خطير وهى تنظر إليه) سريعا ..

محمود : لماذا تنظرين إلتى هكذا ؟ ...

عزيزة : أسرع مما تتصور (فى همس) كان يجب أن أتوقع هذا من

قبل ...

محمود : (مبتسما) كان اليوم آخر سهم عندك إذن ؟ ...

عزيزة : (فى صوت خافت) بالضبط ... (تضع الفئجان فى

مكانه وتنهض) آخر سهم ! ...

محمود : أحيان وقت الانصراف ؟

عزيزة : (تمده ليه يدها) إلى اللقاء ... على كل حال ...

محمود : متى ؟ ... غدا ؟ ... بعد غد ؟ ...

عزيزة : كلا ... اطمئن ... لست أنا هذه المرة التى أحدد

الميعاد ...

محمود : ولا أنا فيما أظن ...

عزيزة : صدقت ... ولا أنت ...

(تتجه إلى النافذة ...)

محمود : الباب من هذه الجهة أيتها الآنسة ..

عزيزة : أعلم ...

محمود : إنك تذهبين جهة النافذة ...

— ٤١ —

عزيزة : (وهى تفتح النافذة على مصراعها) أعلم ... محمود ...

محمود : قلت لك لا تذكرى اسمى المجرد هكذا ... عيب ! ...

عزيزة : آسفة ... إنما أردت أن أنادى سائق سيارتى ..

محمود : سائق سيارتك ؟ ...

عزيزة : (وهى تطل من النافذة) نعم ... هو أيضاً اسمه مثل

اسمك ! ...

محمود : تشرفنا ... أتريدين من هذا العلو الشاهق رؤية سائقك

الذى أتشرف أن أكون سميهِ ؟

عزيزة : (تطل من النافذة) حقاً ، نحن الآن مرتفعان عن هذه

الأرض كثيراً ؟ ..

(تصعد فوق مقعد وتسلق النافذة)

محمود : أنت فى الطابق الخامس ... دعى المزاح واطركى النافذة لكلا

تنزلق قدمك الصغيرة ...

عزيزة : إنى لا أمزح ..

محمود : اتركى النافذة ...

عزيزة : (فى ابتسامة غامضة) ألا تصدق على الأقل أنى الآن جادة

فيما أقول وأفعل ؟ ...

محمود : أصدق أن عقول النساء صغيرة (جرس التليفون يصد

فيتناول السماعة) كفى هذرا وضياع وقت ... ألو

ألو ... نعم ... أزفت الساعة ؟ ... إلى قادم على عجل
(يضع السماعه) ...

عزيزة : (في ابتسامتها الغامضة) أى ساعة قد أزفت ؟ ...

محمود : (في كدر وحنق) ساعتى يا سيدتى ...

عزيزة : (غامضة) بل ساعتى أنا ...

محمود : حان الوقت ولم أكتب ختام المحاضرة ... آه لو علم الناس كيف
يضيع وقت العلماء ... هلمى بنا ... وإلا تركتك ها هنا أيتها
الآنسة ...

عزيزة : (وهى منتصبه فوق جدار النافذة) اذهب واطركنى ..
محمود : (فى صبر نافذ) ماذا تقولين ؟ ... أهو عبث جديد ؟ ...
إن هذا لم يكن فى الحسبان .. لقد طال الهزل ونسينا
الجد ... أرجو أن تضعى حداً لكل هذا ... اتركى النافذة
أوارمى بنفسك منها ... افعل أى شئ يا سيدتى على شرط
أن تسرعى ... يجب أن تعلمى أن لدى الآن محاضرة عامة
ألقها والناس ينتظرون ...

عزيزة : إلى اللقاء ...

محمود : (فى ضيق) سمعت هذه الكلمة مرارا ...

(يتركها فى ضيق ويستدير إلى مكتبه ويشغل
بجمع أوراقه التى كان يكتبها ...)

— ٤٣ —

عزيزة : (في صيحة) محمود.. حبيبي إلى الأبد .

(ثم تلقى بنفسها من النافذة ...)

محمود : (وهو مشتغل بأوراقه) حبيبك ... ما شاء الله ... ما شاء

الله ! ..

(يلتفت إليها في النافذة فلا يجدها فتقع في الحال

من يده الأوراق ويصرخ جارياً إلى النافذة ...)

(ثم يقول في رعب ...)

آنسة ... آنسة ... ألقى بنفسها ... رمت نفسها ...

رمت نفسها ...

(ويرتقى على النافذة ناظراً إلى الشارع ويسمع

عندئذ من أعماق الشارع أصوات الناس ترتفع

في هرج ومرج وصياح ، ثم صوت صفير رجال

الشرطة ، وحركة انقلاب وهياج بالطريق

يتخلله الصياح والصفير ...)

الفصل الثانى

(عين منظر الفصل الأول : الأبواب مغلقة وقد وقف شرطى على كل باب : وكيل النيابة يفحص النافذة التى سقطت منها عريزة ويقيس ارتفاعها عن أرض الحجرة ، وبجواره أحد ضباط البوليس ، بينما كاتب التحقيق عند المكتب يطرق الباب ويدخل شرطى يحمل مظروفا يتسلمه منه الكاتب ...)

كاتب التحقيق : ورد تقرير الطبيب الشرعى ...

وكيل النيابة : ماذا وجد ؟ ... اقرأ ..

كاتب التحقيق : (يفحص المظروف ويقرأ) وجدت الجثة فى حالة تيس رمى غير كامل ... وتعفن مبتدى على هيئة انتفاخ ، واخضرار بجدار البطن ، ووجد سائل دموى يخرج من الأنف والفم ... وينزع فروة الرأس وجدت كسور كثيرة بالجمجمة وانسكابات دموية شديدة فى جوهر المخ . وبفتح

التجويف الصدرى وحد انسكاب مصلى دموى
شديد ... وبرفع الرئتين والقلب وجدت كسور
حيوية بكل من الضلع الأول إلى الخامس الأيسر .
وبتشریح العنق وجدت أنسجة سليمة وكذلك
العظم اللامى ، والغضاريف الحنجرية والقصبية
الهوائية تحوى مواد لزجة رغوية ... وافتتح
التجويف البريتونى وجد خالياً من الأنزفة ...
وافتتح المعدة وجد بها طعام مهضوم ، ووجدت
الأحشاء محتوياتها سائلة .. النتيجة : الإصابات
السالف ذكرها حدثت من مصادمة شديدة بجسم
راض صلب ؛ ويجوز حصولها على أثر سقوط على
الأرض من مكان مرتفع ، والوفاة نتجت من
الصدمة العصبية والارتجاج الدماغى ، ومضى على
الوفاة حتى إجراء الصفة التشريحية نحو اثنتى عشرة
ساعة ...

(يطرق الباب بشدة ...)

- | | |
|-------|---|
| شرطى | : (يفتح الباب قليلا) الدخول ممنوع ... |
| إقبال | : (من الخارج) دعنى أدخل ... |
| شرطى | : ممنوع .. |

- إقبال : أريد أن أخاطب وكيل النيابة بسرعة ...
- وكيل النيابة : (للشرطى) دع السيدة تدخل ...
- إقبال : زوجى تعب فيما أرى يا حضرة النائب .. ولم ينم طول الليل .. وأنا كذلك ... برغم الإذن لى بالعودة إلى المنزل لم أتم الليل من تأثير هذا الحادث المشؤم ...
- النائب : كدنا نفرغ ... استريحى لحظة فى الحجرة المجاورة ...
- إقبال : مع أهل الميتة ؟! ... مستحيل ! ... لن أنسى نظراتهم إلى البارحة .. كما لو كنا اغتلبنا فتاتهم اغتيلالا ...
- النائب : تفضلى إذن بالجلوس على هذا المقعد ...
- إقبال : (تجلس وهى تنهد) كان مقدراً لى أن أرى كل هذا ..
- النائب : أسمحين لى أن ألقى عليك أسئلة أخرى ؟ ... أكنت تعلمين بوجود صلة بين زوجك وتلك الفتاة ؟ ...
- إقبال : (تنهد) كنت أسمع الناس تهمس بذلك ..
- النائب : وماذا كان موقف زوجك من تلك الفتاة ؟ ...

- إقبال : لا أدري ..
- النائب : ولماذا إذن ألقت الفتاة بنفسها من النافذة ؟ ...
- إقبال : لا أعلم ... لم أكن حاضرة وقتئذ ...
- النائب : عندما جئت البارحة ووجدت الأبواب مغلقة ،
- هل سألت زوجك في ذلك ؟ ...
- إقبال : نعم سألته ، فأجابني إنه فعل هذا لكي لا تدخل
- تلك الفتاة ...
- النائب : وهل علمت كيف دخلت ؟ ...
- إقبال : أخبرني سالم عقب الحادث أنها كسرت زجاج
- الباب ...
- النائب : نعم ... كلمة أخيرة يا سيدتي ... كيف علمك
- بحياة زوجك الخاصة ؟ ...
- إقبال : (في شبه احتجاج) حياة زوجي الخاصة ؟ ... إن
- زوجي يا سيدى ليست له حياة خاصة ... إنه
- رجل مستقيم الخلق ، ورب أسرة لا غبار عليه ولا
- يعرف غير زوجته وولده ، والقدر وحده هو الذى
- سلط عليه هذه الفتاة المجنونة ...
- النائب : معذرة وعفواً يا سيدتي ... إني ما قصدت من
- سؤالي الأخير غير ..

إقبال : إنك تدرك يا سيدى ما أنا فيه الآن ... سيدة مثلى
تصبح هكذا بعد ليلة واحدة مضغة فى أفواه الناس
(كالتخاطبة نفسها) لقد هدم هذا الأحق بيده هناء
أسرته ...

(يطرق باب الحجرة ...)

شرطى : (يلتفت إلى النائب) والدة المجنى عليها ...
النائب : أدخلها ..

إقبال : (تنهض) سأنتظر فى مكان آخر ...
(تتجه إلى الباب وتدخل أم المتوفاة فترمق
إحدهما الأخرى بنظرة شزراء .. وتنصرف
إقبال ...)

النائب : (يرى الأم تكفكف دمعها) هوئى عليك يا
سيدتى ..

الأم : أما زال التحقيق فى حاجة إلى وجودى ؟ ...
النائب : لقد فرغنا ... لكننى أريد أن أعرف منك شيئاً ...
هل كنت تعرفين الدكتور محمود عزمى من
قبل ؟ ...

الأم : بالطبع ... وقد جئت مع المرحومة ابنتى إليه هنا
كثيراً يوم كانت تشكو الصداع ...

- النائب : وبعد ذلك نشأت بينهما الصلة ...
- الأم : نعم ..
- النائب : أفاتحتك المرحومة ابتك بهذه الصلة ؟ ...
- الأم : كلا ... ولكنى كنت أسمعها تطلبه كثيراً فى التليفون وتذكر اسم محمود دائماً ... سمعتها تقول ذات مرة : « إما أن أتزوج محمود أو أموت » ..
- النائب : أشكرك يا سيدتى ..
- الأم : هل أنصرف ؟ ...
- النائب : ألا تريد أن تلقى سؤالاً أخيراً على الدكتور محمود عزمى ... (للشرطى) أحضر الدكتور ..
- الأم : ماذا أقول له ؟ ... (تبكى) كفاية ما حصل ...
- النائب : (فى رفق) صبراً يا سيدتى ...
- (يدخل الدكتور محمود عزمى وقد بدا عليه التعب والألم)
- النائب : (لمحمود) اجلس يا دكتور ...
- (الدكتور عزمى يجلس ويطرق : ...)
- النائب : (لمحمود) أريد أن أعلم منك أمراً ... إنك تقول إن المتوفاة صعدت فوق هذا المقعد كى تصل إلى النافذة ، أما كان فى مقدورك أن تسرع إليها وتمنعها (سر المتحرة)

من إلقاء نفسها ؟ ...

محمود : (يرفع رأسه) يا سيدى النائب لقد قلت لك : إلى
لم أكن أصدق أنها جادة فى قولها ... إنك لا
تدرك مبلغ وقع هذه الكارثة على نفسى ... لقد تم
الحادث فى سرعة غريبة صدمت مخيلتى
وأذهلتنى ... إلى لم أزل أجد صعوبة فى تصديق ما
رأته عينى ...

النائب : أقالت لك إنها ستلقى بنفسها من أجلك ؟ ...

محمود : نعم ... قالت ذلك ...

النائب : وبالطبع حسبته تمزح ...

محمود : من غير شك ... وهل كان يخطر لى على بال أن
تلك الفتاة الجميلة تموت من أجل مثلى ... إلى ما
زلت أشك ... أهي ماتت حقاً ؟ ...

النائب : (يشير إلى تقرير الطبيب الشرعى) اقرأ هذا ...

محمود : (يتصفح التقرير) الصفة التشريحية ...

(الأم تنهد ...)

محمود : (كالمخاطب نفسه) نعم ... نعم ... واعجبا ...

من كانت البارحة تدعى زيزى أصبحت اليوم
خليطاً متعفنًا من المواد اللزجة الرغوية ...

الأم : (لا تمالك فتصيح باكية) ، كفى ... والله
كفى ! ...

محمود : (يلتفت إلى الأم متألماً) معذرة يا سيدتى ،
معذرة ، وإن كان الأمر قد جل عن المعذرة ...
إني أدرك ما أنت فيه الآن ، وأرجو أن تحسنى إلى
الظن ، وأرجو أن تعتقدى .. أنى ... ماذا
أقول ؟ ...

النائب : (لكاتب التحقيق فى صوت خافت) اطر
الأوراق ...

الأم : (باكية) هذا قضاء الله ...
النائب : لقد تمت مهمتنا ... قبل أن ننصرف ... أليكما
أقوال أخيرة ؟ ...

الأم : (باكية) كلا يا سيدى ...
محمود : (وهو مطرق يشير برأسه) كلا ...
النائب : (يتقدم نحوهما ويسلم عليهما مودعا) الصبر يا
سيدتى ، وأنت يا دكتور كذلك ...

(ينصرف وكيل النيابة وكاتب التحقيق
والضابط والشرطى ولا يقى غير الدكتور
والأم)

- الأم : (تتحرك) اسمح لى يا دكتور بالانصراف ...
- محمود : (فى ألم) ابقى هنيهة يا سيدتى ... أريد أن أقنعك بشعورى ... ولا أجد كلمات ... ولا أجد قدرة على التعبير ... إن ألى شديد لأنى أنا السبب ..
- الأم : إنك لم ترتكب ذنباً يا سيدى ... ذلك قضاء الله ...
- محمود : إنى يا سيدتى مذنّب أمام ضميرى . كان ينبغى أن أصدقها ... (كالمخاطب لنفسه) ما أنبل عواطفها ، وما أجمل ما صنعت .. إنها فعلت ذلك من أجلى ... أنا الذى كذبتها وامتهنت شعورها ولم أصدق حرفاً من كلامها .
- الأم : لا فائدة ... لقد مضت ، وأصبحت من أهل العالم الآخر ...
- محمود : (ينظر إلى النافذة) نعم ... مضت من هذه النافذة ... إن هذه النافذة عندى الآن لا يمكن أن تشرف إلا على العالم الآخر ..
- الأم : (تتحرك) أستودعك الله يا سيدى (تبكى) لقد ماتت ابنتى فى ريعان صباها ، وأصبحت عدماً ، ولن أراها بعد اليوم ... (تبكى) ...

محمود : (في ألم) صبرا يا سيدتي ... هوني عليك ...
 إنك تزيدني في ألمي ... إنها حقا قد ماتت ، ولكنها
 لم تصبح عدماً ... إن الأموات يا سيدتي ليسوا
 عدما .. إنهم كائنون أحياء ، لا فرق بينهم وبيننا في
 نظر الأزل . وهم حيثما كانوا يؤثرون فينا وفي حياتنا
 كما لو أنهم بيننا ... لو تعلمين أية منزلة لهذه الفتاة في
 نفسي الآن ؟ ... وأي تغيير طرأ في مجرى حياتي
 منذ البارحة ؟

الأم : (تلتفت إليه) إني أصدقك يا سيدى وأشكرك ،
 وأثق بك . إلى الملتقى .

محمود : (يشيعها) إلى الملتقى القريب يا سيدتي ... إن
 شعورنا متحد متلاق ... وفي تلاقينا وتشاكينا
 بعض التخفيف عما بنا ...

(تخرج الأم ...)

(تدخل إقبال وتقابل الأم في خروجها دون أن
 تكلم إحداهما الأخرى ...)

إقبال : (لزوجها في فتور) أحسنت صنعاً بمعاملة هذه
 الأم فإن مصابها حقاً أليم ...
 (محمود يجلس ويطلق ولا يتحرك ...)

إقبال : برغم أنها لم ترع واجب اللياقة ولم تعن بأمرى وأنا
صاحبة المكان ... (محمود يتحرك قليلا ...)
يظهر أنها تنظر إليّ كما لو كنت ضرة لابنتها ...
(محمود يستدير وينظر إليها ...) لماذا ترمقني
بهذه النظرة ؟

محمود : (في صوت جاف) لماذا أنت هنا ؟
إقبال : لماذا أنا هنا ؟ ... أتكره أن أكون بجانبك في
الملومات ؟ ...

محمود : بجانبى ... نعم هذا كل ما تستطيعين ...
إقبال : ماذا كنت تريد أن أصنع لك أكثر من ذلك ؟ ...
محمود : اذهبي واستريحي من عناء السهر ..
إقبال : وأنت ؟ ...
محمود : لا شأن لك بى ...

(لحظة صمت ...)
إقبال : (تتأمل له صامتة لحظة من الوقت) يا الله ... ما كل
هذا الوجوم والتقطيب ؟ ... ما الذى تغير فى
الفلك ..

محمود : ألا ترين ما تغير فى الفلك ؟ ...
إقبال : كلا بالطبع ...

- محمود : لا فائدة إذن من الحديث معك أيتها المرأة ..
- إقبال : أقسم أنك جنت ..
- محمود : كفى ...
- إقبال : لا ريب أن سلوكك اليوم غريب أفهم أن يتأثر الإنسان بحادث كهذا ... لكن التأثر له حدود ... إني أنصح لك ...
- محمود : لست أقبل منك نصحا ...
- إقبال : (تستمر) أن تعود إلى البيت ، وتخلع ثيابك ...
- محمود : سأخلع ثيابي هذه ... وسأرتدى ثياباً سوداء ...
- إقبال : « حدادا » على من ؟ ...
- محمود : (يستمر) لن أخلعها طول الحياة ..
- إقبال : (ساخرة) وتطلق لحيتك أيضاً فيما أظن ...
- محمود : سأفعل ...
- إقبال : إنك ستجعلنا مضغة في الأفواه ... وهزأة في أعين الناس ...
- محمود : لست أبالي بالناس ...
- (صمت ..)
- إقبال : (بعد لحظة) أتلك الفتاة ..
- محمود : نعم ... تلك الفتاة ... ماذا تريدان ؟ ..

- إقبال : لا شيء ...
- محمود : أرجو أن تدعيني منفرداً الساعة ...
- إقبال : (فى أسف) أين رزانتك وعقلك وماضيك الطويل الذى لا غبار عليه ؟ ... ألم أقل لك كل هذا يذهب فى ساعة واحدة ؟ ...
- (محمود لا يتحرك ...)
- إقبال : ألم تعتب علىّ أمس وتطلب إلىّ أن أثق بك ؟ ...
- فها أنذى أفعل .. ماذا صنعت بالثقة التى أوليتك إياها ؟ ...
- (محمود يتململ قليلاً ...)
- إقبال : أعرفت الآن أنى كنت على حق فى ظنى ؟ ...
- تكلم يا محمود ... يا حبيبى ..
- محمود : (كمن يخاطب نفسه) محمود ... حبيبى ...
- إقبال : (تنظر إليه متفلسة) ماذا دهاك ؟ ! ...
- محمود : تلك آخر كلمة لفظتها ! ! ...
- إقبال : (فى كظم) آخر كلمة لفظتها ؟ ...
- محمود : قبل أن تمضى ...
- إقبال : (فى صوت خافت) إلى الجحيم ...
- محمود : (هائجاً) إقبال ...

- إقبال : لم أعد أحتمل صبراً ...
- محمود : إقبال ...
- إقبال : إنك لا تخيفنى بهذا الوجه وهذا الصوت ...
- محمود : اغربى عن وجهى ..
- إقبال : يا للغضب الهائل ...
- محمود : قلت لك اغربى ..
- إقبال : محمود !
- محمود : لا تلفظى اسمى بعد اليوم ...
- إقبال : أليس لى هذا الحق ؟ ..
- محمود : كلا ... لم يعد لك ...
- إقبال : ما الذى جرى ؟ ... هذه أول مرة تسيء فيها معاملتى ...
- محمود : عودى إلى البيت ...
- إقبال : ألسنت زوجتك المحبوبة ... وتاريخ زواجنا ..
- محمود : لا تلقى على الساعة تاريخاً ... إني تعب ..
- إقبال : أرى هذا ...
- محمود : ينبغى لك أن تسكتى وتحترمى ما أنا فيه ..
- إقبال : أحترم ما أنت فيه !؟ ..
- محمود : أو تنصرفى عنى ...

- إقبال : سكت .. واحترمت ما أنت فيه .. كان مكتوباً على
ولا ريب أن أشاهد هذه المآسى المضحكة ... ولقد
طلت بنا المشاهدة ونسينا أنفسنا .. ومنذ البارحة لم
أتناول شيئاً من الطعام ... ما أجملها حياة ... لماذا
يا إلهي سلطت علينا تلك الفتاة المفتونة ؟ ! ...
- محمود : (غاضباً) فليخرس لسانك أيها المرأة ...
- إقبال : لسانى لن يخرس أيها الزوج الخائن ..
- محمود : إني أحرم عليك الكلام عنها ..
- إقبال : يا للعجب لقد أشركت في امرأة أخرى .. امرأة
أخرى .. امرأة ميتة .. لكنك فيما أرى تقدرها أكثر
من الحية ..
- محمود : نعم أقدرها ... أقدرها وأجلها ...
- إقبال : وماذا كسبت أنا بالورقة التي استكتبتك
إياها ؟ ... إني لا أستطيع حتى المطالبة بالخمسين
ألفاً في مثل هذه الحالة ، أو كان هذا يدور
بخاطري ؟ ... أنك تدخل ضرة على ... امرأة من
عالم الأموات ! ...
- محمود : كفى ! ..
- إقبال : (بعد لحظة صمت وتأمل) ألا ترى أن كل هذا

منك لإخلال بواجب الزوجية ؟ ...

محمود : ليس يهمنى الآن واجب الزوجية ... ينبغي أن
أؤدى واجبا أقدس من واجب الزوجية ، واجبا نحو
إنسان منحني حياته بلا مقابل ... حياة نضرة
بأكملها ... أتفهمين ؟ ...

إقبال : هذا لا شأن لى به ...

محمود : نعم لا شأن لك به ... لأنك امرأة أنانية لا يعينك
من الحياة إلا ما يتصل بشخصك ، وما يعود نفعه
عليك وحدك ... إني الآن أمام حدث خطير فى
حياتى وأمام شخص ينبغي أن أحنى رأسى إجلالا لما
صنع ... أنت أيتها المرأة والزوجة ماذا
أعطيت ؟ ... وأى إنسان على الأرض ماذا
يستطيع أن يعطى إنساناً ؟ ... إن كل كنوز
الأرض لا شىء إلى جانب حياة إنسان ... ومن ذا فى
هذا الوجود يذل حياته الجميلة كلها لآخر بغير
مقابل ؟ ... لكنها هى قد فعلت ذلك ..

إقبال : تذكر قبل كل شىء أنك رب أسرة تعيش الآن
هائنة ... فلا تفسد هذا الهناء ...

محمود : مرة أخرى تتكلمين عن هنائك أنت ... قلت لك

لست أحفل الآن بهنائك أيتها المرأة ، ولست أعيش لك منذ اليوم فهمت ؟ لقد عملت على هنائك خمس عشرة سنة ، وأنفقت شبابى وأكثر عمري لك .. فماذا تريد الآن مما بقى من هذا العمر ؟ ... ما بقى هو لى وسأمنحه تلك التى منحتنى حياتها كاملة ... أتفهمين ؟ ... حياتها كاملة ... شبابها وجمالها وآمالها فى لحظة واحدة من هذه النافذة ... إنك لا تدريين عظم ما فعلت هذه الفتاة ... تخيلى هذا ... أن أطلب إليك أن تلقى بنفسك من هذه النافذة الآن من أجلى ... ماذا يكون جوابك ؟ ... وجهت ... اعترفى أنها قد أتت عملا عظيما وأنها ذات قلب نادر الوجود ... إنى ... أصارحك وأشهد على نفسى ولست أبالى بأحد ... سأعيش منذ اليوم لهذه الفتاة ... سأعيش بذكرى هذه الفتاة ...

(إقبال واجهة تطرق ...)

(صمت ...)

(يسمع فى الشارع أصوات باعة الصحف)

— ٦١ —

منطلقين ينادون (

باعة الصحف : (في الخارج صائحين) الحادثة ، الحادثة ، حادثة

الانتحار ! ...

إقبال : (كمن تخاطب نفسها) يا للفضيحة ! ...

الفصل الثالث

(في منزل الدكتور عزمى بهو فخم على أحدث طراز له جملة أبواب يتوسطها باب زجاجى رحب ، فى صدر المكان تسدل على زجاجه الشفاف ستائر من الدمقس ... الأم والددة زيزى جالسة تنتظر وهى تتأمل حولها سيما البذخ على المكان ... إلى أن تدخل إقبال من باب جانبي صغير ...)

- إقبال : (فى استقبال وحفاوة) أهلا وسهلاً ! ...
الأم : (وهى تحيب عناق إقبال بالمثل) أشكر لك زيارتك فى الأسبوع الماضى يا إقبال هانم وآسفة أشد الأسف على أنى كنت غائبة ..
إقبال : (وهى تجلس بين يديها) إنما أردت أن أحادثك ..
الأم : أعلم فىم الحديث ...
إقبال : (فى تهدي) نعم .. كل القاهرة تعلم ...
(إقبال الآن مهملة الهندام باد عليها)

— ٦٣ —

(القنوط ...)

الأم : والله يا إقبال هانم لولاك أنت ما كنت أدخل هذا البيت ...

إقبال : لك العذر ...

الأم : ولك أنت أيضاً ... إني أدرك ما تعانيين ... ولو كنت في مكانك ...

إقبال : لو كنت في مكانى ماذا كنت تصنعين ؟ ...

الأم : إنه رجل غريب ...

إقبال : إنه لم يعد يحتمل ...

الأم : كم سنة لك معه ؟ ...

إقبال : خمس عشرة سنة ...

الأم : وهو يسلك هذا السلوك ؟ ...

إقبال : بالعكس ... لقد كان رجلاً مستقيماً وزوجاً رزيناً

لا غبار عليه ...

الأم : وما الذى دهاه إذن ؟ ...

إقبال : (كالتخاطبة نفسها) لست أدري ...

الأم : أيمكن أن يتغير الإنسان فى آخر عمره ؟ ...

إقبال : لم لا ؟ ... ها هو ذا أماننا المثل الحى ...

- الأم : وينسى ما مضى من حياته ؟ ...
- إقبال : في ساعة واحدة ...
- الأم : (في تنهد) صدقت ... حتى المصاب الألم قد نسيه ...
- إقبال : (في مراة) لقد نسي كل ماضيه ... نسي كل شيء ... إنه انقلب اليوم رجلاً آخر ...
- (تدخل وصيفة تحمل فنجانين من القهوة على صينية ثمينة وتتقدم بها إلى الأم ...)
- إقبال : (للوصيفة إذ تفرغ من الصيفة وتتقدم بالفنجان إلى ستها) أين سيدك كل هذا الوقت ؟ ...
- الوصيفة : في الحمام يا ستي ...
- إقبال : (تنظر إلى الأم نظرة ذات معنى) طبعاً ... في الحمام ... نعم ... دائماً .. (ثم تلتفت إلى الوصفة ثانية) والحلاق ؟ ... وعاملات المحل ؟ ...
- الوصيفة : لم يحضروا بعد ...
- إقبال : (للوصيفة مشيرة إلى مائدة صغيرة) طيب اتركي الصينية وانصرفي ..
- (الخادم تفعل ما أمرت به وتنصرف ...)

- الأم : (فى دهشة) الحلاق وعاملات الخمل ؟! ..
- إقبال : نعم يا سيدتى ... الحلاق حلاق من أشهر حانوت ، تعاونه آنستان ، إحداها تقوم بتنظيف وصقل أظافر اليد ، والأخرى أظافر القدم ...
- الأم : أتمرحين ؟ ...
- إقبال : كلا يا سيدتى ... لقد أمسى اليوم فى البيت لا عمل له ولا شغل سوى الحمام والحلاق والخياط ... ويظل الحلاق بالأصباغ يخضب ما وخط الشيب من شعره ... وبالمساحيق والكهرباء يفرك ما تجلد وجهه من تجاعيد كى يعيد إلى البشرة رونقها وشبابها ..
- الأم : إنا لله وإنا إليه راجعون ..
- إقبال : نعم بعد هذه السن يعود إليه الشباب من جديد ..
- الأم : يا للعجب ...
- إقبال : إنك لو شاهدته الآن لرأيت رجلا لا تعرفينه ؛ ولم يسبق لك به عهد .. متى تلاقيتما آخر مرة ؟ ..
- الأم : رأيته آخر مرة منذ خمسة شهور ...
- إقبال : ليلة الأربعاء ...
- الأم : نعم ... بعدئذ بلغتنى أخباره الجديدة ...
- (سر المتحرة)

(تضع فنجانها ، وكذلك إقبال ...)

- إقبال : ألم تذهبي إليه في العيادة ... ؟
 الأم : ذهبت مرة ...
 إقبال : شاهدت طبعاً صورة الفقيدة مكبرة في صدر
 الحجرة ..
 الأم : نعم ... ومن أجل هذه الصورة بالذات جئت
 أحادثك ...
 إقبال : آه يا عزيزتى ... هذه صورة تعرض كل يوم على
 أفواج السيدات والآنسات المتدفقات على العيادة
 الآن في غير انقطاع ...
 الأم : علمت أخيراً ...
 إقبال : نعم .. ذاك حديث البلد ، إن الصحف كلها
 نشرت بحروف كبيرة خبر الحادث في حينه ...
 وروت أن آنسة جميلة من أسرة معروفة انتحرت من
 أجل الدكتور عزمى الطيب المعروف ، ألم يطلعك
 أحد على أقوال الصحف يومئذ ؟ ...
 الأم : أطلعونى ..
 إقبال : ألا تتصورين بعد ذلك سيدات القاهرة وأوانسها
 يهرعن إلى هذا الطبيب مدفوعات على الأقل بحب

الاستطلاع ... يشاهدن الرجل الذى انتحرت من
أجله آنسة جميلة معروفة ؟ ... ثم ألا تتصورين
وابل الهوى والمغازلة والمطارحة بمطر على العبادة من
كل جانب ؟ ...

الأم : (فى مرارة) شئ جميل ...
إقبال : (فى مرارة أيضاً) أليس كذلك ؟ ... رجل علم
جاوز الخمسين ينقلب إلى دون جوان ! ...

الأم : وكيف تصبرين أنت على هذا الحال ؟ ...
إقبال : ماذا أصنع ؟ ... لقد فكرت طويلا فى الأمر ...
لى منه غلام ... إني أتحمل كل شئ من أجل
جمال ... ومع ذلك ... (فى تردد وهى تلتفت
إلى مرآة فى الحائط) ومع ذلك من يتزوج امرأة
مثل الآن ؟ ... (تنهد) امرأة محطمة ! ...

الأم : لا تبخسى من قدرك يا إقبال هائم ، أنت ما زلت
جميلة ... ومهما ذبلت الزهرة فإن عيرها
موجود ...

إقبال : (تطيل النظر فى المرآة وتقول فى مرارة) كلا ...
لقد ذبلنا ... ولقد قلتيها ... انتهى كل شئ بالنسبة
لى ..

- الأم : (تنظر إلى إقبال متفلسة) كم عمرك يا إقبال هانم ؟ ..
- إقبال : (فى تردد) سأبلغ عما قليل الثلاثين ...
- الأم : (فى قوة وحماسة) فى ريعان الشباب ، علام اليأس إذن ؟
- إقبال : (فى مرارة وشك) أتظنين ؟ ...
- الأم : أوترتابين فى ذلك ؟ ... كلا يا إقبال هانم ، لا يجوز لك أن ترتابى ... كل ما فى الأمر أنى ..
- إقبال : (تنظر إليها فى اهتمام) تكلمى ... أرجو منك أن تكونى صريحة ...
- الأم : إنى فقط أراك اليوم أقل عناية بنفسك مما كنت عندما التقينا يوم وقوع المصاب ...
- إقبال : هذا صحيح ...
- الأم : يومئذ كنت فى ملبسك ، وفى نضارة وجهك ، كسيدة فى الثلاثين ... أقصد فى العشرين ...
- إقبال : (تنظر إلى ملبسها المهمل بعض الشيء) صدقت ... إنى الآن أهمل شأنى أكثر مما ينبغى ، وأبدو لذلك كأن عجوز ! ...
- الأم : إن زوجك يكبرك بعشرين عاما ... أليس كذلك ؟ وها هو ذا قد عاد إليه شبابه ...
- إقبال : (فى تنهد) هذا شئ آخر ...

الأم : لا تقولى هذا .. تزيى كما يفعل وتصنعى ، وأنى

يمثل حلاقاته ومساحيقه ...

إقبال : لا أستطيع ...

الأم : وكيف استطاع هو ؟ ...

إقبال : « لست أدرى » وهذا ما يحير عقلى ... لا أستطيع

الآن ذلك أنا ... لا أستطيع ...

الأم : ولكنك كنت تعين بنفسك قبل اليوم ...

إقبال : لست أدرى كذلك ما أقعدنى عن التزيين

الآن ؟ ...

الأم : صدم نفسك هذا الرجل ...

إقبال : لست أكتمك أن منظره وقد انقلب شاباً فى الثلاثين

يملؤنى حسرة ويخيل إلتى أنى أصبحت أكبر منه

سناً ...

الأم : ثم هاته الأوانس والفتيات حوله ، كما تقولين ...

إقبال : نعم ...

الأم : نعم ... إنه لم يعد يلتفت ويعتنى إلا بالنساء

الأخريات ... نعم ... لقد أدركت الآن ...

إقبال : أتصدقين أن زوجى هذا قد أتى عليه حين ، كان فيه

يأبى صبغ شعره ، وكان يطرد الحلاق طرداً ؟ ...

- الأم : رأيت شعره الأبيض بعيني نابتاً في ذقنه بإهمال ...
- إقبال : وكنت أزهو أنا في أجمل أثواب تخرجها الخياطات ...
- الأم : بالطبع ...
- إقبال : (تنهد) ما علينا ... إلى مغتربة حقاً بزيارتك ..
- الأم : وأنا كذلك يا إقبال هائم ...
- إقبال : حبذا لو التقينا كثيراً ...
- الأم : هذا ما أتمناه يا عزيزتى ...
- إقبال : أنت الوحيدة التى تستطيعين فهم ما أنا فيه ... وأشعر أن كلامك يعيد إلى بعض الراحة ..
- الأم : والثقة أيضاً ... بودى لو أعيد إليك الثقة ...
- إقبال : الثقة ؟ ...
- الأم : نعم ... بنفسك وشبابك ونضارتك ؛ لاتنهمى أمامه ... لاتجعليه يكسر نفسك ! ... إلى ليحزننى حقاً يا إقبال هائم أن أراك بهذا المظهر اليائس لغير ما سبب ، تشجعى أمام زوجك الفاجر ، ذكرىه بسنك وبسنه ...
- إقبال : فعلت كثيراً ... بدون فائدة ...
- الأم : بدون فائدة ؟ ...

- إقبال : (تهمز رأسها : أن بلى ... ثم بعد لحظة) بدون
فائدة ... هنالك شيء في الإنسان أقوى من
السن ... لقد تبينت الآن وتحققت ...
- الأم : ياله من رجل عات ، أما كفاه الذى فعل
بابنتى ؟ ... أقسم لك يا إقبال هانم أنى أنا لم لك
أيضاً كما لو كنت ابنتى ...
- إقبال : أحس ذلك وأشكرك من كل قلبى ...
(الوصيفة تعود لأخذ الصينية)
- الوصيفة : (وهى تحمل الصينية وتذهب بها) سيدى
الدكتور خرج من الحمام ...
- الأم : (فى تهكم مرير) نعيما ...
(الوصيفة تخرج ...)
- إقبال : (للأم) هل لك فى مقابلته ؟ ...
- الأم : (فى استنكار) أنا ؟ ... وما عسى أن أقول
له ؟ ... لا شأن لى به ... لم يكفه أنه السبب فى
موت ابنتى فجعل يعبث بذكراها هذا العبث ...
كل ما أريد الآن هو أن ينزع صورة ابنتى من
عيادته ، وأن يكف عن عرضها لأنظار النساء ...
وهذا ما جئت أطلبه منك أنت ...

- إقبال : منى أنا ؟ .. وهل لى سلطة خلع هذه الصورة من عيادته ؟ ...
- الأم : ألا تستطيعين أن تكلميه فى ذلك ؟ ...
- إقبال : لا ... إنه سيسخر منى حتما ...
- الأم : وما العمل ؟ ...
- إقبال : كلميه أنت ...
- الأم : (تنظر فى ساعتها) وهل سيكون مستعداً للقائى سريعاً ؟ ... لقد آن وقت انصرافى ... منزلى كما تعلمين بعيد ... والسيارة لاسائق لها حتى الآن ... إنها كانت سيارة ابنتى ... وكانت هى التى تسوقها بعد هرب سائقها ...
- إقبال : هرب سائقها ؟! ...
- الأم : نعم ... هرب من أجل امرأة ... ومنذ ذلك اليوم لم ترد ابنتى أن تبحث عن سائق غيره ... إنها كانت فخوراً به ، كثيرة التحدث عن صفاته ...
- إقبال : أكان شاباً ؟! ..
- الأم : محمود ؟! ... نعم ... كان شاباً وسيماً ...
- إقبال : كان اسمه « محمود » ؟ ...
- الأم : نعم ... وكان فى غاية النشاط والهمة ...

- إقبال : تقولين إنه هرب من أجل امرأة؟! ... والمرحومة
عرفت ذلك طبعاً ... ألم يظهر بعد ذلك ؟
- الأم : ظهر ... جاءنى بعد انتحارها يبكى ويأسف على
تصرفه ...
- إقبال : تصرفه ؟ ... ماذا يقصد بذلك ؟ ...
- الأم : المجاملة ... ربما ...
- إقبال : (كالهامسة) ربما كان الأمر أكثر من ذلك ... على
كل حال ... أشكرك يا سيدتى ... أشكرك ...
بدأت أفهم ...
- الأم : أرى وجهك تغير فجأة ! ...
- إقبال : (منتعشة) إني سعيدة بمجيئك اليوم ... سعيدة
جداً ... فى غاية السعادة ...
- الأم : القلوب عند بعضها يا ستى .. أنا أيضاً سعيدة
بمعرفتك ...
- إقبال : (كالمخاطبة لنفسها وقد سرت فيها قوة مفاجئة)
أنا السعيدة ... نعم ... سوف يرى هذا الرجل أن
لكل شيء حدا ... جاء دورى فى الضحك ...
وسأضحك ... وسأضحك وسأنتقم ..
- الأم : (فى دهشة) ما الذى حدث ؟ ...

— ٧٤ —

إقبال : (تنهض) ستعرفين غداً ؛ وستقولين إن إقبال هي

إقبال ...

الأم : (تنهض كذلك) ما معنى هذا ؟

إقبال : (تجلسها) كلا ... ابقى لحظة حتى تستمتعي

قليلاً بمنظر هذا الشاب ابن الثلاثين ...

الأم : الآن ...

إقبال : نعم ... الآن ؟ ... وسأتركك معه قليلاً ...

(إقبال تتجه إلى الباب الزجاجي الرحب في

الصدر وتفتحه قليلاً فيكشف عن بهو آخر جميل

به محمود على كرسي أمام مرآة كبيرة يحيط به

الآنستان ، كل منهمكة في عملها)

الأم : (إذ ترى محمود على هذه الصورة) ما شاء الله ..

ما شاء الله ...

(محمود مشغول بشأنه لا يلتفت ...)

إقبال : (تشير إليه وقد أعطى كل آنسة ذراعاً) كأنه .

هرون الرشيد بين جواريه ! ...

محمود : (يسمع ويلتفت إليها) هرون الرشيد .. أغلقتي

الباب ... ألا ترين أني الآن في ساعة زيتتي ؟ ! ...

إقبال : (في تهكم ضعيف) ساعة مقدسة ! ...

محمود : (يلتفت إلى الأم) آه ... أهلاً وسهلاً ... كيف

حالك يا والدتي ؟ ...

- الأم : (تهمس في استككار) والدتك ؟ ...
- إقبال : (لمحمود) أجل ما أنت فيه قليلا ... ورحب
بالسيدة التي تفضلت بالزيارة ...
- محمود : (ينهض وينزع المناشف من عنقه) واجب ! ...
(ثم يدخل البهو الأول بعد أن يشير إلى الآنتين
بالانتظار ، وتغلق إقبال الباب الرحب كى
تجيب الآنتين ثم تمضى تاركه محمود
والأم ...)
- (محمود يخطر في رداء منزلى من الحرير زاهى
اللون وهو ذو منظر حسن الهندام ، حليق
الذقن ، خفيف الشارب ... غير واضح الشيب
والتجاعيد كثيراً ...)
- محمود : ما أسعدنا بالزيارة ...
- الأم : (وهى تتأمل منظره) إنما جئت لإقبال هانم ...
- محمود : (وهو دائماً يتكلم بلهجة جديدة تم عن نفسية
جديدة) فقط ؟! ...
- الأم : هى وحدها التى يتسع وقتها لى ...
- محمود : ووقتي أنا ؟ ...

- الأم : (فى تهكم خفى) وقتك أنت ينفق طبعاً فيما هو
أحدى وأهم ...
- محمود : هذا لا يمنع أن فى الإمكان ... أو فى بعض
الأحيان ...
- الأم : أشكرك ...
- محمود : ما أعجب الزمن ! ... أنت تزورين إقبال ولا
تحفلين لى ؟ ... ما الذى غيرك نحوى !؟ ...
- الأم : لست أنا التى تغيرت ...
- محمود : ولا أنا طبعاً ...
- الأم : (فى تهكم) ولا أنت لى ؟ ..
- محمود : ماذا ترين فى قد تغير ؟ ...
- الأم : (فى تهكم) لا تسألنى أنا هذا السؤال ...
- محمود : ومن تريد أن أسأل ؟ ...
- الأم : (تشير إلى مرآة فى البهو) سل المرأة ، فهى تجيب
أفصح جواب ...
- محمود : (ينظر إلى المرأة) حقاً ، إنى أعنى الآن بأمر الهندام
قليلاً ...
- الأم : (فى سخرية) قليلاً !؟ ...
- محمود : لست أنكر أنى كنت أهمل شأنى فيما مضى أكثر مما

ينبغي ؛ فكنت أبدو ...

الأم : كلا يا سيدى ليست مسألة إهمال ...
محمود : (مقاطعا في امتعاض) ما علينا ... كم تسرنى
زيارتك اليوم ...

الأم : (فى تهكم لاذع) حقيقة !!
محمود : (يلحظ التهكم ويرتبك قليلا) لا سيما بعد ...
الأم : بعد الذى حدث ...

محمود : ما الذى حدث ؟ (ينظر حوله فى حيرة)
أين إقبال ؟ ...

الأم : سأنتظر وحدى ... ولا حرج أن تمضى أنت
لشأنك ... فأنت مشغول فيما أرى ...
والآنستان فى الانتظار ..

محمود : (ينظر إلى الساعة فى معصمه) أستطيع أن أبقي معك
أيضاً نحو ... نصف دقيقة ...

الأم : إني أرى أن حديثي أصبح يثقل عليك ..
محمود : (بغير انتباه) كيف عرفت ذلك ...؟

(يستدرك ويتحجج)

الأم : هذا واضح ... ولا يحتاج إلى فراسة كبيرة ...
محمود : (فى شيء من الارتباك) عفواً ... يظهر أن شيئاً

- يشغل فكرى ...
- الأم : لا شك عندى فى أن فكرك مشغول ...
- محمود : أتلاحظين ذلك ؟ ...
- الأم : (فى نغمة تهكمية ذات مغزى) لست أنا
وحدى ... كل القاهرة تلاحظ أنك اليوم مشغول
الفكر والبال ..
- محمود : (متخذاً هيئة الجلد) فى أعمال العيادة طبعاً ...
- الأم : وفى غيرها ..
- محمود : (فى ضيق) من المحتمل ... (لنفسه فى صوت
خافت) هذا لا يحتمل ...
- الأم : ليس عندك فيما أرى ما تقوله لى ...
- محمود : أى نوع من القول تريدان ؟ ...
- الأم : لست أنا التى تذكرك ...
- محمود : حسناً تفعلين ... إن من المزايا أن يكون الإنسان
ضعيف الذاكرة ...
- الأم : أرجو لك يا سيدى حياة طويلة ؛ وليلهمنى الله
بعض ما ألهمك من الصبر والنسيان ... لى عندك
فقط طلب واحد ...
- الطبيب : أنا فى خدمتك ..

- الأم : صورة المرحومة لم يعد لها لزوم في عيادتك ...
- الطبيب : ماذا تقصدين ؟ ...
- الأم : أقصد أن مكانها الآن ليس هناك ... وأرجوك أن تنزعها من موضعها ...
- الطبيب : أنزعها ؟ .. ولكنها جزء من حياتي ! ...
- الأم : حياتك الآن ليست في حاجة إليها ... ولكني أنا في حاجة إلى حفظ صورة بنتي المرحومة في مكان محترم ولا تجعلني أفصح أكثر من ذلك ، واسمح لي أنصرف ...
- محمود : أنتصرفين ؟ ... (يدنو سريعا من أحد الأبواب الصغرى وينادى) يا إقبال ... يا إقبال ...
- إقبال : (تأتى مسرعة) أتذهبين هكذا سريعا ؟ ...
- الأم : (تمد يدها ثم تعانق إقبال مودعة) نعم ...
- محمود : (ماداً لها يده) مع السلامة يا تيزة ...
- (الأم تحبى محمود بإشارة فاترة سريعة دون أن تنظر إليه وتخرج)
- إقبال : (وهى تشيع الأم حتى الباب) لا تبخل بالزيارة ... سأزورك قريباً ..
- محمود : (ينظر إلى المرأة ويرتب شعره اللامع) فلتبخل

بالزيارة ... فلتبخل ... بخلها في هذا يعتبر من
الفضائل ...

إقبال : (تعود إليه) أرايتها ؟ ...

محمود : (يلتفت إليها) أتدرين لماذا جاءت هذه العجوز
الحيزبون ؟ ...

إقبال : (ناظرة إليه مليا) الحيزبون !؟ ...

محمود : أيجزئك أن أقول ذلك ؟ ... لست أدرى والله سر
كل هذه الصداقة الجديدة التى تربطكما
اليوم ! ... (إقبال ترمقه بالنظر) لماذا تنظرين
إلى هذه النظرة ؟ ..

إقبال : (فى شبه تهكم) أتسمى حيزبونا أم التى انتحرت
من أجلك ؟ ...

محمود : فى الجحيم أمها بعون الله ... لأن امرأة انتحرت من
أجلى أصبح ملزما بسماع سخافات أمها ؟ ...

إقبال : ماذا قالت لك ؟ ...

محمود : إنها تحاطبني كما لو كانت حماتي .. لقد حمدت الله
يوم ماتت أمك ، فإذا حماة أخرى تطلع لى من تحت
الأرض ، حاسبة أن لها الحق فى أن تشترينى
وتبيعنى وتتصرف فى شئونى الخاصة ...

- إقبال : أخبرنى ... ماذا قالت ؟...
- محمود : (يتحرك ذاهبا) ليس لى لى الوقت .. (ينظر إلى الساعة فى معصمه) ياللهول !.. من فضلك !.. موعدا العيادة ...
- إقبال : (تستوقفه إذ يسرع إلى بهو الحلاقة) انتظر ... لى معك حديث طويل ..
- محمود : لا طويل ولا قصير .. شغلى أهم من كلام حضرتك ..
- إقبال : كلمة واحدة إذن ...
- محمود : (ويده على الباب) مستحيل .. أما يكفيك الوقت الذى ضاع ؟... أى نهار مشغوم أنفق فيه ساعاتى مع العجائز ؟!..
- إقبال : وأنا منهم ؟!..
- محمود : لست أقول هذا .. بالضبط ..
- إقبال : يا لك من فاجر !...
- محمود : علام الغضب يا سيدى العزيزة ؟...
- إقبال : لو تعلم كم أنت بغيض إلى نفسى ...
- محمود : دلتنى التجارب يا عزيزتى أن المرأة إذا قالت أبغض فإنما تعنى أحب ...

(سر المتحيرة)

- إقبال : قطع لسانك ..
- محمود : هذه الكلمة أيضًا ضمن الأدلة والبراهين ؛ إن المرأة لا تتبدل ولا تتغير ..
- إقبال : حسبك أنت الذى تتبدل وتتغير ..
- محمود : أنت واهمة .. إلى ما تغيرت قط ... إلى دائما هكذا .. كنت أهمل شأنى قليلا فيما مضى .. هذا كل ما فى الأمر ...
- إقبال : كل ما فى الأمر .. كلا ... هذا ليس كل ما فى الأمر ...
- محمود : ألا تصدقين ؟ ... شأنك إذن ... إلى لست ملزما أن أقنع الناس كافة وأقيم الدليل للناس كافة ! ... ومع ذلك لم أصادف قط أحدا يستغرب الأمر ويسمعنى هذا الكلام البارد غيرك أنت وغير تلك العجوز الخرقاء ...
- إقبال : لأن أحدا غيرنا لا يعلم أنك جاوزت الخمسين ...
- محمود : قلت لك لا تلفظى هذه الكلمة ...
- إقبال : الخيفة ! ...
- محمود : أين لك العلم بأنى جاوزت الخمسين ؟ ... وهل قرأت بعينك شهادة ميلادى ؟ ... إن ورقة ميلادى

— ٨٣ —

مفقودة منذ أمد بعيد ، ولقد بحثت عنها كي أثقب
بها عين من يتكلم هذا الكلام ، ولكن من سوء
الحظ ...

إقبال : قل من حسن الحظ ...

محمود : كلا ... من سوء الحظ أنى لم أعر على شهادة
ميلادى .

إقبال : إنك مع ذلك لست تجهل عمرك الحقيقى ...

محمود : عمري الحقيقى نحو ٣٥ ... ٣٨ ... على الأكثر

إقبال : (تضحك) المغالطة لا تبلغ بك هذا الحد
المضحك ..

محمود : قولى ما شئت .. فليكن عمري ٣٩ ! ...
مبسوطة ! ...

إقبال : أهذا ما تعتقد أمام ضميرك وأمام الله ؟ ...

محمود : لا تدخل الله والضمير فى مثل هذه الأشياء ، إلى ما
اقترفت جريمة من الجرائم ، وما خالفت قانون الله
ولا قانون الضمير ...

إقبال : وقانون السن ؟ ! ..

محمود : قانون ماذا ؟ ...

إقبال : قانون السن والزمن ...

- محمود : من المغفل الذى قال إن لمثل هذه الأشياء
قانونا ؟ ...
- إقبال : هذا المغفل الذى قال ذلك هو أنت ... ولا
مؤاخذه ..
- محمود : أنا ؟ ...
- إقبال : ألا تذكر المحاضرة التى كنت ستلقها ؟ ...
- محمود : أعترف أن العناية السماوية قد أنقذت سمعتى
العلمية فى الوقت المناسب ، وحالت دون إلقاء
تلك السخافة التى كنت أسميها محاضرة ..
- إقبال : يا للعجب ، أشهد الله أن كل هذا عجيب ...
- محمود : أشهدى الله كما يحلو لك ، لكن اعتقى رقبتي الآن
ولك الأجر والثواب .
- إقبال : (تستوقفه إذ يتحرك ذاهبا) ابقى هنية أخرى ...
- محمود : لا أستطيع ... المرضى ينتظرون فى العيادة ...
- إقبال : المرضى (تضحك ساخرة) ...
- محمود : بلا شك .. ومن ذا ينتظر الطبيب غير المرضى ؟ ..
- إقبال : كل هذه الأناقة ، وكل هذا التزين والتصنع
والأصباغ والعطور والمساحيق من أجل
المرضى ؟ ...

- محمود : إني طيب رقيق الحاشية أحب أن أدخل السرور إلى
قلوب مرضاي ، وكلما كان الطيب حسن المظهر
والمنظر كان تأثيره في الشفاء أشد وأفضل ...
- إقبال : هذا قانون جديد ...
- محمود : بلا شك ... (يتحرك) باي باي ! ...
- إقبال : قلت لك ابق هنية ...
- محمود : أريد أن أحاطب سالم المريض في العيادة ...
- إقبال : أخبره أنك قد تتأخر قليلا ...
- محمود : (يتناول السماعة) ألو .. ألو ... ٥٠٢٥٠ ،
متشكر يا روحى وعقلى ...
- إقبال : روحك وعقلك ؟! ...
- محمود : (يغمز بعين) تلك عاملة التليفون ...
(إقبال تهز رأسها وتكظم ...)
- محمود : (في التليفون) ألو ... العيادة ، سالم ... هل
عندك أحد ؟ ... (ثم يخفض من صوته قليلا
حذراً من إقبال) افهم غرضى يا مغفل ...
من ؟ ... آه تذكرت ، فليتتظر (يستدرك)
أقصد فليتتظر ... نعم سأتى بعد نصف ساعة على
الأكثر .

إقبال : (وهى ناظرة إليه حتى يضع السماعه) من التى
تنتظرك ؟ ...

محمود : (وهو يتخايل بهندامه فى المرأة) مريضة شاحبة
الوجه ...

إقبال : (تنهد) لابد أن تكون مريضة بالقلب ... كلهن
كذلك الآن ...

(تنظر إليه نظرة طويلة)

محمود : (يلتفت إليها) لماذا ترمقينى هكذا ؟ ...

إقبال : (بعد صمت كالتخاطبة نفسها) إلهى .. إلهى ...

أكل هذا لأن امرأة انتحرت من أجله ؟ ...

محمود : (باسم) هذا ليس بالشئ القليل ...

(يتحرك للذهاب)

إقبال : محمود ... زوجى العزيز ! ...

محمود : ماذا تريدين ؟ ...

إقبال : أريد أن أسألك سؤالاً ...

محمود : إذا كان سؤالاً مهما فأسرعى ... إنك تعلمين أن

وقتى ضيق محدود ..

إقبال : نعم ... سؤال غاية فى الأهمية ...

محمود : أسرعى إذن ...

- إقبال : هل تحبنى ؟ ...
- محمود : أهذا هو السؤال المهم ؟ ... آه ... يا للنساء ... يا للنساء ! ...
- إقبال : إني جادة يا محمود ... أريد الساعة أن أعلم منزلتي عندك ... أخبرني أى مكان لى الآن فى هذا الزحام الذى يكتنفك من كل جانب ، ولا يكاد يعرف له أول من آخر ؟ ...
- محمود : (ضاحكا) الزحام ! ...
- إقبال : أتعجبك الكلمة ؟ ... نعم ... أخبرنى ، أين هو مكانى ؟ ... إن بى رغبة فى معرفة ...
- محمود : مكانك فى الزحام (يلفظ ضحكة ضعيفة) موضوع ننظر فيه إن شاء الله عندما نخرج من الزحام ... (يتحرك) إلى الملتقى ... بساى باى ! ...
- إقبال : محمود .. انتظر ...
- محمود : (فى شيء من الغضب) كلا ... لن أنتظر ...
- لست أسمح لك بكل هذا الوقت ... إنك لا تستحقين منى كل هذا الوقت ... لقد بدأت تخرجين صدرى ...

- إقبال : وإذا كنت أحبك يا محمود ... (محمود يهز
كتفيه ، فتقول في رجاء) : لا تهز كتفيك ..
- محمود : حتى أنت ... واعجباه ... حقاً إنه لرحام ...
إن البيت هنا آوى إليه للراحة والاستجمام لا
لسماع كلمات الحب والغرام ! ...
- إقبال : يالك من فاجر ..
- محمود : ما الذى جعلك تنطقين هذه الكلمات
اليوم ؟ ...
- إقبال : لست أدرى ...
- محمود : ومنذ عام مضى كنت أقول لك أحبك فتقولين
احتشم فأنت كهل ...
- إقبال : أنت لست كهلا ...
- محمود : أعلم ذلك ... ولست فى حاجة إلى مثلك كى
بخبيرنى به ...
- إقبال : نعم.. لست فى حاجة إلى مثلى الآن .. ولكنك
مخطيء يا محمود.. لأنى أحبك حقيقة الآن حباً
جديداً لا علاقة له بالماضى.. إنى لم أعد

- زوجتك فحسب ، بل امرأة تحبك ...
- محمود : عجباً ... عجباً ... كل النساء يقلن الآن
هكذا ... لقد انقلبت كل واحدة منكن
جولييت ... حتى أنت المزهوة المتكبرة ...
انظري إلى ماذا صرت ...
- إقبال : لا تهزأ بي ... إلى أشد حباً لك من أية امرأة ...
لأنى لست أحبك لغاية ... ولست أعجب بك لأن
امرأة انتحرت أو لم تنتحر من أجلك ... ولا لأنك
أصبحت جميل المنظر قوى الثقة والإيمان
بنفسك ... فلتعد كهلاً تجد إحساسى نحوك كما
هو ، لم يتغير ...
- محمود : (فى رعب) كلا ... كلا ... لست أريد أن
أعود كهلاً من أجل سواد عينيك ...
- إقبال : كذلك أنا أشد تألماً من أية امرأة ... لأنى دانية منك
وأنت لاه عنى ... وكأنا أراك تعتبرنى شيئاً قديماً
متعلقاً بالماضى ولا صلة له بالحاضر ... إنك
تقصينى فى قسوة عن حاضرك السعيد ؛ كأنى
أكبرك بعشرين عاماً ، وأن زمانى فات ولم يعد
يصلح لزمانك ...

- محمود : لقد قلت الحقيقة ...
- إقبال : هذا فظيع ما تتفوه به يا محمود ... أترانى كذلك حقاً ؟ ...
- محمود : أتريدى الصراحة ؟ .. نعم ... إن وجودك يذكرنى بالهرم ومراك وحديثك وقربك ينسج حولى جوا بارداً مفعماً برائحة الشيخوخة ...
- إقبال : إنك قاس يا محمود ...
- محمود : (ينظر إلى الساعة فى معصمه) لا أستطيع أن أصغى إليك أكثر من ذلك .
- إقبال : إنك لا تتصور فظاعة ما تقول ...
- محمود : (يتململ) كفى ؟ ... لقد مللت .. دعنى أغير الجو ... أف ! ..
- (يتحرك نحو الباب)
- إقبال : وأنا التى أشفق أن أفضى إليك بما يؤلم نفسك ، وأتردد وأحجم عن إيدائك ، مع أنى أملك .. وفى يدى اليوم القنبلة التى تحطم هذا الشباب الزائف ...
- محمود : كفى أيتها الحيزيون ...
- إقبال : (ترتعد) ماذا تقول ؟ ... (محمود يمز كفيه

ويعضى إلى الباب المؤدى إلى بهو الحلقة (أنا

حيزبون؟..) محمود على وشك فتح الباب ، فترفع

إقبال رأسها وتصيح به منفجرة (انتظر ..

انتظر ... أيها المغفل الواهم والشيخ المتصاى ،

اسمع ما أقول ، ولن أحجم الآن عن الكلام ...

: (يلتفت فى تقطيب القلق) تقولين ماذا ؟ ...

محمود

: إن الفتاة لم تتحرر من أجلك ...

إقبال

: آأنت مجنونة ؟ ...

محمود

: إن زيزى انتحرت من أجل محمود سائق

إقبال

سيارتها ...

: (فى رعدة) سائق سيارتها ؟ ...

محمود

: هذه هى الحقيقة ...

إقبال

: إقبال ...

محمود

: ماذا دهاك ؟ ...

إقبال

: مزاح سخيف ! ...

محمود

: أرايت كيف فعل بك الخبر ؟ ... كلا ... من

إقبال

سوء حظك لست أمزح ...

: (فى صوت متغير) من قال لك هذا الهراء ؟ ...

محمود

: سائق سيارتها شاب ... شاب حقيقى ، شاب

إقبال

وسيم اسمه محمود ، وكانت تهتم به ، تحبه بلا

- شك ... ولكنه هرب مع امرأة أخرى ... فلم
تستطع احتمال الصدمة وقررت الانتحار ...
- محمود : (مطرق) من أخبرك بهذا ؟ ...
- إقبال : أمها الساعة ...
- محمود : (يرفع رأسه مضطرباً) آه ... أمها العجوز
المخرقة ... طبيعي ...
- إقبال : نعم طبيعي جداً أن فتاة جميلة تنتحر من أجل شاب
جميل ، لا أن تنتحر من أجل كهل أشيب !؟ ...
- محمود : (يجلس ويفكر مطرقاً) تريدن أن أصدق
ذلك ؟ ...
- إقبال : لا أرغمك على أن تصدق الشيء المعقول ، وهو
أنها انتحرت من أجل محمود الشاب ؛ سائق
سيارتها الذى يلازمها فى أكثر أوقاتها ..
- محمود : (يرفع رأسه) ولماذا كانت تأتى إلى تحدثنى عن
حبها لى ؟ ...
- إقبال : أرادت ولا شك الانتقام لكبريائها المجروحة ...
أرادت أن تخون حبيبها الذى خانها ، بأسرع وقت
وبأسهل طريقة لم تجد أسهل منك ، فهى تأتى إلى
عيادتك كل يوم ...

- محمود : كل كلماتها الرقيقة كانت كاذبة . وكل دموعها الحارة التي ذرفت أمامي كانت ؟ ...
- إقبال : كانت لمحمود الآخر ...
- محمود : (غير متمالك) اخرسى ! ...
- إقبال : (في تشف) كانت تحبه ... كان أول حب لها ، ولكنه طعنها في حبها ... إنها تحبه دائماً ... وأرادت أن تموت بعد أن علمت أنه يحب غيرها ، ولكن شعور المرأة المجرّحة ثار ... ففكرت ، ورأت أن تشعره بأنها انتحرت من أجل شخص آخر ... شخص له اسمه واحترامه في المجتمع ... إنها ذكية تلك الفتاة ... وفّت لحبها العظيم بالموت في سبيله ... وانتقمّت من حبيبها الخائن بإيهامه بأنها لم تنتحر من أجله ... ولعلها سارت معه إلى حد بعيد ففرر بها وبغافها ، وخافت من الاقتضاح ، وأرادت ستر أمرها بالزواج منك ، فلما يمست انتحرت ...
- محمود : قصة بارعة من نسج خيالك ... قصة من صنع خيالك المريض ...
- إقبال : هذه القصة كما تسميها أقرب إلى الحقيقة من

أوهامك ، بل إنها هي الحقيقة المستترة ، التي قد
تكشف لك ناصعة لو أنك بحثت في أعماق
نفسك ...

محمود : خاب فألك أيتها المرأة .. إن كنت قد ظننت أنك
بهذا الإفك تلقين في صدري بذور الشك فإنك قد
فشلت فشلا ذريعا ...

إقبال : (ضاحكة منتصرة) إلى لم أنتصر في حياتي مثل
انتصاري الآن ... حسبي وجهك الشاحب ،
وهذا الاضطراب في عينيك وشفتيك ، كل شيء
فيك الساعة يصيح ويصرخ بأن الحقيقة قد
وضحت أخيراً لعينيك الغافلتين ...

محمود : لست من السذاجة حتى أصدق هراء امرأة مثلك ..

إقبال : وأنا أقسم إنك في قرارة نفسك قد بدأت تصدق ! ...

محمود : (في غيظ مكلوم) خسئت ! ...

إقبال : (في الانتصار) تستطيع الآن أن تنصرف إلى

مواعيدك إذا شئت ، أكمل لبس ثيابك وزينتك ،
واذهب فقابل من أردت أن تقابل إذا استطعت ...
إنك تشعر الآن في أعماق نفسك بأنك بنيت بناء
شائخاً على مجرد وهم وأن فتاة مخبولة قد هزأت بك

وخذعتك وجعلتك أضحوكة في آخر حياتك ...
 إني حقاً أخذت من وقتك أكثر مما أستحق ... إنك
 ولا شك قد نسيت المتطلبات المريضات بقلوبهن في
 العيادة ... ترى ماذا هنّ صانعات وقد شيذن
 آملهن فيك وإعجابهن بك على مجرد وهم !؟ ...
 ما كل هذا الوجوم أيها الشاب ! ... هلم إلى
 الزحام الذى ينتظر ... ليس لى أن أبقيك أكثر من
 ذلك ...

(تتحرك وترفع يدها بتحية ساخرة في
 الهواء ...)
 أورفوار ! ... باى باى ...

محمود : (ينهض فجأة) إلفك وزور ... كذب
 واختلاق ! ... (يدنو من إقبال ويمسك
 بذراعها) أسمعين ؟ ... هذا كذب
 واختلاق ..

إقبال : (فى ألم) دع ذراعى ! ...
 محمود : (يمزهاهزاً عنيقاً) إنك امرأة فاسدة النفس
 مريضة القلب ... متورة ! ...
 إقبال : (فى ألم) دعنى يا محمود ... أجننت ؟ ...

— ٩٦ —

محمود : من ذا يصدق هذا الهراء ؟ .. لن أصدق هذا
الهراء ... لن أصدق ... لن أصدق ...
إقبال : دعنى ... اتركنى ... أظافرك تدمى جسدى ..
محمود : (يقذف بها إلى الأرض) مـزورة ! ...
ملفقة ! ... ساقطة ! ...
(تقع إقبال على الأرض صارخة ...)

الفصل الرابع

(عيادة الدكتور محمود عزمى كما ظهرت في
الفصل الأول ، غير أن الحجرة قد لبست حلة من
الأناقة تجعلها أقرب إلى حجرة مواعيد غرامية
منها إلى حجرة طبيب . وفي صدر المكان ترى
صورة كبيرة لعزيزة ...)

* * *

(تدخل من أحد الأبواب سيدة على شيء من
الأناقة والملاحة وهى تسرع وتقتحم المكان
ويتبعها سالم الممرض كمن يريد أن يحول بينها
وبين الحجرة)

سالم : (وقد تأنق هو الآخر في ردائه الأبيض) إن الله مع
الصابرين ...

السيدة : إنى صبرت ساعة من الزمن ، أهذه حجرتي
الخاصة ؟ ...

(سر المتحرة)

- سالم : الدخول هنا ممنوع أثناء غيبته ...
- السيدة : سأنتظره هنا ..
- سالم : أرجو أن تنتظري في حجرة الانتظار مع بقية السيدات ...
- السيدة : إني لست مثل الأخريات ، سأنتظره هنا وحدي ، برغم أنفك الدميم ...
- سالم : أنفى الدميم ؟ ...
- السيدة : طبعاً ... أو تحسب لك أنفاً أحسن من الأنف الرومانى ؟ ...
- سالم : ولماذا لا يكون أنفى أحسن من الأنف الرومى ، حتى الأنوف فيها بلدى ورومى ...
- السيدة : (تضحك ثم تخطر في الحجرة تأملها) ما أجمل هذه الحجرة !.
- سالم : يا سيدتى أرجو أن تنتظري في حجرة الانتظار ..
- السيدة : سأنتظره هنا حتى يحضر ..
- سالم : إنه لن يحضر اليوم ...
- السيدة : وإذا أقسمت لك إنه سيحضر ؟ ...
- سالم : لن يحضر ...
- السيدة : عندى دواء من تعاطاه قال الصدق ، (تخرج من

- محفظتها ورقة مالية ذات جنيه (هذه الورقة ...
 : (صائحاً) سيدتى ... سالم
 : هذا لك .. قل لى الآن ، أيجضر اليوم كما أقسمت السيدة
 لك ؟ ...
 : (فى لهفة) وهل يحنث قسمك يا سيدتى ؟ ... سالم
 سبحانه الله ... إنك صادقة مثل الجنيه المصرى ...
 : (أمام صورة « عزيزة » تأملها) أمهذه السيدة
 صورتها ؟ ...
 : نعم يا سيدتى ... سالم
 : (تأملها) فيها متسع بعض الاتساع ... السيدة
 : حقيقة ... ملحوظة فى محلها ... سالم
 : وأنفها لا يعجبني ... السيدة
 : نعم ... أنفها غير رومى ! ... سالم
 (يسمع صوت الباب يفتح)
 : (تلتفت) من ... أهو القادم ؟ ... السيدة
 : (متوسلاً) أتريدن أن أكون طوع أمرك ؟ ... سالم
 أرجو من سيدتى أن تنتظر هنيهة فى الحجرة الأخرى
 حتى أذكرك له وأمهد الأمر ...
 : إني أثق بك ... السيدة

- سالم : نعم ... ثقى بخادمك كل الثقة ...
- (يقودها إلى الباب الذى دخلت منه فتخرج)
ويفلق الباب خلفها ... يدخل الدكتور محمود
من باب آخر)
(محمود متغير الوجه يجلس إلى مكتبه ويترك في
صمت)
- سالم : (يدنو منه) سيدى الدكتور ...
- محمود : (بدون أن يرفع رأسه) ماذا تريد ؟ ...
- سالم : (فى اهتمام) السيدة حرم ...
- محمود : (مقاطعاً) لن أقابل أحداً ...
- سالم : (فى شبه همس واحتجاج) إنها حضرت لأول
مرة ، كى ...
- محمود : (فى شدة) قلت لك لن أقابل أحداً ..
- سالم : (فى دهشة وحيرة) عجباً ... لن تقابل
أحداً ؟ ... وماذا أقول لها ؟ ...
- محمود : إلى منحرف الصحة ...
- سالم : (فى تردد) ألها وحدها أم ...
- محمود : للجميع ...
- سالم : (فى دهشة) جميع السيدات ؟ .. (محمود

- مطرق لا يتحرك) ما الذى جرى ؟ ...
- محمود : أغلق الباب ولا تفتح لأحد ..
- سالم : أنعود إلى غلق الباب ؟
- محمود : (منتهراً فى شدة) قلت لك أغلق الباب .
- سالم : أمرنا إلى الله .. سنغلق باب رزقنا بأيدينا ...
- محمود : اتركنى وحدى ...
- سالم : (يعضى وهو يخاطب نفسه) أترى مضت أيام العز ؟ ... (يخرج ثم يعود كمن تذكر شيئاً ...) وإذا سألتنى متى يستطيعن المكافحة ؟ ...
- محمود : لن أرى أحداً اليوم ...
- سالم : اليوم فقط ؟ ..
- محمود : (يضع كفه على جبينه) اليوم أريد الوحدة والهدوء التام ... سمعت ؟ ...
- سالم : (ناظراً إليه) سيدى يبدو عليه حقيقة ...
- محمود : أعطنى زجاجة الإثير ...
- (سالم يشير برأسه علامة الطاعة ويخرج ، ويلبث محمود كما هو ... ثم يرفع رأسه فجأة بعد إطراق وينهض محاولاً استعادة النشاط ، لكنه يتجه إلى مكتبه ويجلس إليه ويضع رأسه بين كفيه كمن

— ١٠٢ —

ينام ، لكنه لا يستطيع ، ويرفع رأسه ويحدق ملياً
في صورة عزيزة ...)

سالم : (يدخل بزجاجة صغيرة في يده) زجاجة الإثير يا
سيدى ...

(سالم يخرج مسرعا .. الباب يطرق ... محمود
لا يتحرك لكن أصابعه تعبت بزجاجة الإثير دون
أن يستعملها)

إقبال : (من الخارج) ماذا يفعل سيدك ؟ ...

(ثم تدخل فإذا هي في ثياب أنيقة وفي رشاقة
تذكر بمظهرها في الفصل الأول ... وقد بدت
عليها النضارة والنشاط والابتهاج . محمود لا
يلتفت إلى إقبال ولا ينقطع عن العبث
بالزجاجة)

إقبال : (وقد اتخذ صوتها وحركاتها مظاهر جديدة)
ليلتك سعيدة يا ... يا دكتور ؟! ...

(محمود يرفع رأسه إليها ولا يجيب ...)
(في ابتسام) ألا ترد التحية بأحسن منها يا
دكتور ؟ ...

(محمود ينظر إليها ولا يجيب ...)

- لماذا تنظر إليّ من قمة رأسى إلى كعب حدائى ؟ ...
- محمود : (فى صوت أجش) ماذا جئت تصنعين هنا ؟ ...
- إقبال : مررت ببابك فى طريقى إلى الخياطة فقلت أصعد لأطمئن على صحتك ...
- محمود : الخياطة ؟ ...
- إقبال : (فى ابتسامة خبث وهى تغلغ من يديها قفازاً أنيقاً) طبعاً يا عزيزى ...
- (محمود يعود إلى الإطراق والعبث بالزجاجة وتنظر إقبال فى مرآة كبيرة بالجدار فى خيلاء وهى تصفر بقمها بأنغام أغنية مرحة)
- محمود : (يرفع رأسه إليها فى ضيق) ماذا جرى لك اليوم ؟ ..
- إقبال : (دون أن تترك المرأة) لا شىء ... إنى دائماً كذلك ...
- محمود : دائماً كذلك ؟ ...
- إقبال : ماذا ترى منى قد تغير ؟ .. (محمود ينظر إليها فى كمد ولا يجيب) كنت أعمل شأنى قليلاً فيما مضى ... هذا كل ما فى الأمر ..
- (محمود لا يجيب ..)

— ١٠٤ —

- إقبال : نعم ... قاتل الله الوهم ...
- محمود : (من بين أسنانه) أى وهم ؟ ...
- إقبال : كنت أتوهم أنى عجوز ، وكنت تتوهم أنت أنك شاب ! ...
- محمود : كنت أتوهم ؟ ...
- إقبال : طبعاً ... لكن كل شيء لا يلبث أن يرجع إلى أصله ، وها أنت فى أربع وعشرين ساعة قد عادت إليك شيخوختك المبيجلة ! ...
- محمود : كفى ..
- إقبال : ها هى المرأة ، خذ وانظر فيها ...
- (تفتح حقيبة اليد التى تحملها وتخرج مرآة صغيرة تدفعها إليه فىأخذها ويلقى بها وسط الحجرة فى غيظ ...)
- وما ذنب المرأة تحطمها ؟ ...
- محمود : لددى عمل يا سيدتى ... لددى أعمال ... لا أستطيع أن أنفق الوقت فى هذا الكلام الفارغ ...
- إقبال : خير لك أن تستريح من عناء الأعمال ... إنك مريض ...
- محمود : إنى فى أحسن حال ..

- إقبال : ظاهر على وجهك الشاحب وجفونك الحمراء ...
- محمود : حمراء أو خضراء ، ليس شأنك .. إني في خير حال ..
- إقبال : أراهن أنه ماغمض لك جفن الليلة الماضية ...
- محمود : من قال لك ذلك ؟ ... لقد نمت ملء جفوني ...
- إقبال : ياللمكابرة ...
- محمود : اذهبي لشأنك يا سيدتي ... ماذا يهمك من أمري ؟ ..
- إقبال : صدقت ... ليس يهمني الآن من أمرك شيء ...
- (تسير في الغرفة .. تصفر بفمها في غير اكتراث
فتسرى صورة عزيزة فتلتفت إلى محمود
المطرق ...)
- عجباً ... هذه الصورة ما زالت هنا !! ..
- محمود : (دون أن يتحرك) لا شأن لك بها ...
- إقبال : إنك تحسن صنعاً لو بحثت عن محمود السائق وأهديتها إليه ...
- محمود : سأفعل ...
- إقبال : إنه هو وحده صاحب الحق ولا ريب ...
- محمود : فليكن ...

إقبال : نعم .. وهذه الفرش والرياش والوسائد الجديرة
بوكر للمواعيد لا بعيادة طبيب ! ... آن الأوان أن
تزيل كل هذه الأساليب ، فلقد طالت
المهزلة ! ...

محمود : لا تريد أن تسكتي ؟ ..
إقبال : أعترف أني أخشى تهديديك ، فلقد كنت قاسياً عليّ
بالأمس ... انظر ... تلك أظافرك التي أنشبتها في
عنقي ...

(محمود لا يتحرك ولا ينظر إليها ..)
ولكنك معذور .. إنك في تلك اللحظة إنما كنت
تدود عن كل شبابيك الذاهب ...

محمود : إنك تفترين كذبا ... ولن أصدق هذا الافتراء ...
إقبال : لن تصدق ؟ ...

محمود : لا ... لن أصدق ...
إقبال : إنك تصدق من أعماق نفسك ؛ ولو لم تصدق لما
بدا عليك كل هذا التغير في أربع وعشرين
ساعة ...

محمود : (في غير اقتناع) أنت مخطئة ... إني لم أتغير ...
إقبال : نبرات صوتك وحدها دليل قاطع ...

— ١٠٧ —

محمود : (لا يتالك ويصرخ) اخرسى ... إني سئمت ونم
أعد أتحمّل هذه الحماقات ...

إقبال : هذه الحماقات ... هذا صحيح ... هدى روعك
إذن ...

محمود : إني هادىء الروع على الرغم منك أيتها المرأة ..

إقبال : ابتسم إذن واضحك وابتهج كما كنت تفعل بالأمس
في الحمام ...

محمود : لست أمثل لأمر أحد ...

إقبال : (تصفر وتغنى) ألا تريد أن تبتهج هكذا ؟ ...

(محمود يرمقها في غيظ مكثوم ...)

إقبال : شأنك إذن (تنظر مريحة إلى المرأة في خيلاء) أما

أنا فأني مبتهجة ...

محمود : (يرمقها شزراً في صمت ، ثم يقول) وعلام كل

هذا الابتهاج اليوم ؟ ...

إقبال : (تستدير إليه) وأنت علام كل هذا الحزن

اليوم ؟ ...

محمود : من قال لك إني حزين ؟ ...

إقبال : أنت حزين حزن من عثر على ورقة ميلاده

المفقودة ...

— ١٠٨ —

(تضحك عالياً ...)

محمود : (يكظم غيظه ساداً أذنيه) لا تضحكى هذه الضحكة في مقر عملى ...

إقبال : مقر عملك مقفر اليوم ... حقاً هذا عجيب ...
أين المرضى ! ... أين الزحام ؟ ... آه ... ذهبت
الأوهام ... تبددت الأحلام ! ...

محمود : هذه أمور تعيننى وحدى ...

إقبال : (ساخرة) بالطبع (تنظر إلى الساعة فى معصمها
ساخرة) ...

(جرس التليفون يدق فوق المكتب ...)

محمود : (يرفع السماعة) ألو ... ليس هنا ... لا .. ليس
هنا ..

(يضع السماعة فى الحال ...)

إقبال : (فى تهكم) لماذا الكذب ؟ ...

محمود : (فى صوت تعب) اسكتى ... ألا تريدن أن
تسكتى ؟ ...

إقبال : (ناظرة إلى وجهه) إنك فى غاية التعب ...

محمود : (فى تسليم مرغماً) نعم أريد قليلا من
الراحة ...

- إقبال : هذا ما نصحت لك به الساعة ...
- محمود : ينبغي أن أنقطع عن العيادة ..
- إقبال : (في خبث) نعم ... بعض الوقت .. وتحتجب
عن أعين الجميع ...
- محمود : (يرفع رأسه) ماذا تقصدين ؟ ...
- إقبال : ومع ذلك ليس هنالك ما يدعو في رأيي إلى
ذلك ... إن الجميع ما زالوا يعتقدون أن الفقيده
انتحرت من أجلك ، ومن الذى يكشف لهم عن
الحقيقة ؟ ... من جهتي أنا يمكنك أن تطمئن ...
- محمود : أرجو أن تكفى عن هذا الأسلوب المازى ...
- إقبال : إني جادة كل الجد فيما أقول ... إني أرى في
استطاعتك أن تستمر في إيهام الناس ، ولا تخش
شيئاً ، فإني أصمت كالقبر ...
- محمود : (ينظر إليها) ...
- إقبال : لماذا تنظر إليّ هكذا ؟ ... ألا ترائى جادة فيما
أقول ؟ ...
- محمود : (ناظراً إليها شزراً) أستمر في إيهام الناس ؟ ...
- إقبال : ألا تستطيع أن توهم الناس ؟ ...
- محمود : كفاية ! ...

- إقبال : نعم ... فهمت ... صدقت ... الحق معك ...
- محمود : ماذا فهمت ؟ ...
- إقبال : فهمت أنك أنت الذى فى حاجة إلى هذا الوهم قبل كل الناس ... فى حاجة إلى تلك الثقة بنفسك أولاً ، ولكن أين لك ذلك الآن أيها المسكين ؟ ... لقد كان حلماً جميلاً لبث بضعة شهور ثم تكشف عن الحقيقة المخزنة ...
- محمود : قلت لك كفاية هذا الكلام الفارغ ! ...
- إقبال : هذا الكلام الفارغ أنت تعرف أنه هو الحقيقة
- محمود : لن أصدق حتى أرى بعينى محمود هذا ...
- إقبال : محمود الآخر ؟ ... سائق سيارتها ؟ ...
- محمود : وأخطابه بنفسى ...
- إقبال : وتخطبه ؟ ...
- محمود : نعم ... حتى أرى بعينى الحقيقة ! ...
- إقبال : إنك تعذب نفسك بهذا الأمل الخادع ...
- محمود : من قال لك إنى آمل فى شيء ...
- إقبال : فقدت كل أمل ... إذن أنت تصدق ... فأى معنى إذن لبحثك عن محمود الآخر ؟ ...
- محمود : مجرد حب استطلاع ... لا غير ...

- إقبال : وفر على نفسك مؤونة حب الاستطلاع هذا ، فإن
اليأس إحدى الراحتين .. إني أنصح لك بمغادرة
القاهرة زمناً والذهاب إلى عزبتك بالريف ... إن
من في سنك يفيدك كثيراً الهواء النقي ، ويجدد قواه
الهلوء وعيش المزارع ...
- محمود : من في سنّي ؟! ...
- إقبال : (وهي تخطر أمام المرأة) بلا شك .. من في
سنك طبعاً ..
- محمود : وأنت ؟ ...
- إقبال : (تلتفت إليه سريعاً) وأنا ... ماذا تعنى ؟ ...
- محمود : ألا تذهبين معي ؟
- إقبال : (تعود إلى المرأة وتخرج من حقيبتها علبة مسحوق
أبيض تطلّي نحرها مكان أظافر محمود) لا ...
- محمود : أأذهب وحدي ؟ ...
- إقبال : أتريد أن أترك خياطتي وأذهب مع رجل ؟ ...
- محمود : مع رجل مسن .. قولها ... قولها ..
- إقبال : لا أستطيع أن أقبر نفسي في الريف قبل الأوان ...
- محمود : تقرير نفسك معي ؟ ...
- إقبال : أنت تعلم أنني ما زلت في مستقبل العمر ... ولو

كانت في رأسك ذرة من عقل لأيقنت أن من
المستحيل على امرأة في مقتبل العمر أن تنغص راحتها
مختارة خمس دقائق من أجل مثلك ... لكنك أعمى
لا ترى نفسك ... ومغفل استطاعت فتاة أن تلعب
بك في الحياة وبعد الموت ... نعم ... انظر إلى أى
حد استطاع ميت أن يلعب بحى ... لعبت بك ...
وجعلت نساء البلد يلعبن بك ... كل هؤلاء النساء
إنما يأتين لمشاهدتك طبعاً كما يذهب الإنسان إلى
حديقة الحيوانات لمشاهدة مخلوق غريب ...

: أشكرك ...

محمود

: لست أقصد إهانتك ، إنما أقصد فقط أن أنبهك إلى
الحقيقة ... وهى أنك رجل قد فنى وانتهى ،
وينبغى لعينيك أن تسدد جهة القبر ... انظر إلى
وجهك ذى التجاعيد ... أى امرأة تسر لمنظرك
وهى صادقة مخلصة في هذا السرور ؟ ...

: أى امرأة ؟ ...

محمود

: طبعاً .. ما من امرأة على هذه الأرض ...

إقبال

: حتى أنت ؟ ! ...

محمود

: نعم ... حتى أنا ... ما دمت تريد منى الصدق

إقبال

والصراحة ... فأني أقول لك أنا ككل امرأة ، لا
يمكن أن أرى فيك غير شيخ مفروغ منه ... لأنى لا
أستطيع أن أنكر الواقع ... ومن الحقائق ما لا يملك
إنسان جاد إنكارها أو معارضتها ... وكذبت امرأة
قالت فيك غير ذلك ...

محمود : حتى أنت ؟ ...

إقبال : قلت لك إني امرأة ككل النساء ...

محمود : أنسيت ما أفضيت به إلى أمس ؟ ...

إقبال : كنت أخدعك بالألفاظ كما خدعتك باقى النساء .

محمود : (فى مرارة) حتى أنت تخدعين ؟ ...

إقبال : إني لست معصومة ...

محمود : أو لا يحس قلبك بحب لى إذن ؟ ...

إقبال : حب لك ... إنك تطلب إلى المرأة المستحيل ...

محمود : أنت تقولين هذا يا إقبال ؟ ...

إقبال : إني صريحة مع الأسف ... إني لأعجب كيف

يفكر فى الحب من فى سنك ..

محمود : (يطرق) تريدان أن أصدق أنى انتهيت ؟ ...

إقبال : أعجب لماذا تريد أن أحبك اليوم ، إلا أن تكون

كالغريق تريد أن تعتمد على أى قلب ... ولكن

(سر المتحرة)

حتى هذا القلب الواحد الذى بقى لك فى أفق الأمل
إن فتحته فلن تجد فيه غير رماد بارد ، ولن يقوى
مثلك اليوم على نفخ النار فيه ...

محمود : (فى تعب وقنوط) أشكرك يا إقبال ...

إقبال : (وهى تتحرك للانصراف) ألا ترى معنى أن

الكلام معك فى الحب موضوع مضحك ؟ ..

محمود : مضحك ؟ ! ...

إقبال : مضحك للغاية ! ... ألا ترى ذلك ؟ ... (تنظر

فى معصمها) الساعة الآن السادسة ... ينبغي لى

أن أنصرف إلى ما هو أهم ... خياطتى تنتظر ...

(تحمل حقيبة يدها تحت إبطها وترتب هندامها

أمام المرأة .)

(تتحرك كى تنصرف . وقت خروجها تلتفت

إلى الصورة)

لا تس إعطاء الصورة لصاحبها الحقيقى ... إلا إذا

كنت لم تشبع من ابتسامتها الساخرة بك ...

أورفوار ...

(تضحك ضحكة كبيرة وتخرج بعد أن تحبى ..

محمود فى حركة مزاح ومرح)

- محمود : (بلا حراك) ؟ ...
- سالم : (يدخل بعد لحظة من خروج إقبال من العبادة)
سيدى الدكتور ! ... الحلاق حضر ...
- محمود : (بدون أن يلتفت إليه) اذهب عنى ... اذهب
عنى ! ...
- (يختفى سالم وهو قلق مندهش ، ثم يظهر رأس
سيدة يطل من الباب الآخر ...)
- السيدة : (يشجعها وجود الدكتور وحده فتدخل بغير
إذن) أنت وحدك يا دكتور ؟ ... أسمح ؟ ...
- محمود : (يرفع رأسه ناظراً إليها) من أنت ؟ ...
- السيدة : معجبة ... أقصد مريضة ! ..
- محمود : تقولين معجبة ! ...
- السيدة : بمهارتك الطبية طبعاً ...
- محمود : آه ... مهارتى الطبية ! ...
- السيدة : أنا ... متأسفة ...
- محمود : جئت اليوم هنا لأول مرة فيما أظن ...
- السيدة : (وهى تنظر إليه ملياً كمن تفحصه) نعم ... أول
مرة ...
- محمود : لماذا تنظرين إلىّ هكذا ؟ ... تريدن أن

- تفحصيني ؟ ...
- السيدة : أنت يا دكتور الذى يفحص ...
- محمود : اليوم لا أقابل أحداً ... ألم يخبرك الممرض ؟ ...
- السيدة : ولماذا لا تقابل أحداً ؟ ...
- محمود : إني متعب ..
- السيدة : حقيقة يبدو عليك التعب ... ويحسن أن أتركك بسرعة ! ...
- محمود : (باهتمام) انتظرى من فضلك .. أتلاحظين ذلك ؟ ... أنى متعب !؟ ...
- السيدة : من عينيك ... نعم ... بالتأكيد ...
- أورفوار ! ..
- محمود : ماذا فى عيني !؟ ..
- السيدة : حولهما تجاعيد سوداء ...
- محمود : تجاعيد ! ...
- السيدة : أقصد ...
- محمود : لا تحاولي التلطف ... يبدو فى عينيك أنت أنى خيبت ظنك ... كنت تعتقدين أنى أصغر من ذلك سناً ... قولى بصراحة ... إني لا أغضب ...
- السيدة : حقاً ... رأيت صورتك فى إحدى المجلات ...

- و كنت تبدو ...
- محمود : أصغر مما أنا الآن ؟ ...
- السيدة : المسألة على كل حال مسألة أذواق ...
- محمود : أذواق من ؟ ..
- السيدة : أنت أدرى يا دكتور بالناس ... يدهشنى مع ذلك ما سمعت من بعضهم .. سمعت عنك من أكثر من سيدة .. شىء غريب .. شىء غريب .. حقاً ما أكبر إشاعات المجتمع ، وكلام الناس ، واختراعات السيدات .. الحبة يعمل منها قبة ...
- محمود : تقصدين أنها مبالغات ...
- السيدة : المجتمع دائماً هكذا ... هذه ليست أول مرة ..
- محمود : الحبة يعمل منها قبة .. والحبة هى بالطبع أنا ! ..
- السيدة : لم أقل ذلك يا دكتور ...
- محمود : المهم أنك كنت تتصوريننى غير ذلك ...
- السيدة : حقيقى ... ولكن ... على كل حال ... لا داعى لإطالة الكلام الآن فى موضوع كهذا وأنت متعب .. أوقفوا يا دكتور ! ...
- محمود : لا أريد أن أضيع وقتك معى .. ولكن لحظة واحدة ! .. اسمحى لى بسؤال ! ...

- السيدة : لا تخرجنى يا دكتور ... يحسن أن أنصرف الآن ! ...
- محمود : بهذه السرعة ؟! ...
- السيدة : (تلتفت إلى الصورة) مسكينة هذه الشابة الصغيرة ... أهذا معقول ؟ ... الدنيا مملوءة بالعجائب ! ... أوفوار يا دكتور ! ...
- (تخرج بسرعة ... ويبقى محمود وحده مطرقاً جامداً بلا حراك)
- محمود : (مخاطباً نفسه) حقاً ... أهذا معقول ؟! ...
- سالم : (يدخل فى تردد) مالها خرجت تجرى كالجنونة ! ... هذه السيدة هى التى دخلت من نفسها يا سيدى الدكتور وأقسم بالله ! ... وقد أحسنت بطردها ...
- محمود : (كالمخاطب نفسه) أنا لم أطردها ... هى التى هربت ...
- سالم : لم أعلم بأمرها والله إلا وهى خارجة ..
- محمود : (هامساً) هربت منى ! ... نعم هى التى هربت منى ! ...
- سالم : سيدى الدكتور يرى أنى مخطئ ...

— ١١٩ —

محمود : لا .. اذهب أنت إلى عملك ... (ينهض
متنهداً ،) ولأعد أنا أيضاً إلى عملى الأصل ! ...
(يتجه إلى الصورة وينزعها ويلقى بها فى عين
النافذة التى انتحرت منها ...)
(ستار)

نحو حياة أفضل

فصل واحد

١٩٥٥

(حجرة بسيطة في منزل ريفى ... المصلح
جالس ، يقرأ كتابا تحت ضوء مصباح غازى
موضوع فوق مائدة صغيرة ! ... ساعة قديمة فى
أحد الأركان ، تدق النصف بعد الحادية عشرة ،
فيفتح باب تظهر منه زوجته)

الزوجة : أظنك قرأت كفاية ! ... الليل كاد ينتصف ! ... نحن هنا
فى الريف ؛ كما تعلم ! ... وقد اتفقنا قبل مجئنا أن ننام بعد
العشاء ونستيقظ عند الشروق ! ... ألا تذكر !؟ ...

المصلح : (وهو ينظر فى كتابه) فعلنا ذلك أمس ! ...

الزوجة : يجب أن نواظب ! ...

المصلح : (وهو مستمر فى مطالعته) واطبى أنت وحدك ! ...

الزوجة : وأنت ؟ ... ألم يعجبك منظر الشمس ، وهى طالعة من
خلف الغيطان ؟ ...

المصلح : أعجبنى ... ولكن القراءة تعجبنى أكثر ! ...

الزوجة : القراءة تستطيعها فى « القاهرة » ... فى كل مكان ...
ولكن هنا ! ...

المصلح : هنا النهار طويل جداً ! ...

الزوجة : اشغل بعضه بقراءتك ...

المصلح : قلت لى ستجلس تحت الشجر ! ... وستقرأ كما يحلو لك
فى الظلال الوارفة والمياه الجارية ... وقد قضينا نهار

أمس ! ... نبخت عن شجرة واحدة ، في هذا الريف ،
يمكن أن نجلس تحتها ، فلم نجد إلا شجرة السط التي ربطوا
في جذعها البهائم بعلفها وروثها ... حصل أو لم
يحصل ؟ ...

الزوجة : قلت لك لا تنس مظلتيك ! ...

المصلح : مظلتي ؟ ...

الزوجة : طبعاً ... نحن في صميم الصيف ! ...

المصلح : مظلتي في الجنة ؟ ... قلت لي ستذهب إلى جنة

الريف ! ... هل يجلس الناس في الجنة تحت شجرة أو تحت

مظلة ؟ ... والمياه الجارية ... هذه التربة التي رأينا فيها

البارحة جثة الحمار النافق منتفخة ، يعلوها الذباب

والحشرات ! ... حصل أو لم يحصل ؟ ...

الزوجة : أعرف لماذا كل هذه الانتقادات ! ...

المصلح : لماذا ؟ ...

الزوجة : لأنها قرية أهلى ! ...

المصلح : يا للنساء ... أهذا تفكيرك ؟ ...

الزوجة : لا أجد سبباً آخر لتبرمك .. أنا هنا معك .. فلماذا لا أرى

الأشياء بعين السخط ، كما تراها أنت ؟ ..

المصلح : لأنك لا تريد أن ترى الواقع ! ...

الزوجة : إنى أرى الواقع ، ولكنى أسمع ...

— ١٢٤ —

المصلح : أما أنا ، فلا أريد مطلقاً أن أتسامح ! ...

الزوجة : أرايت ؟! ...

المصلح : من فضلك .. لا تحشري شخصك أو أهلك في

الموضوع ! ... إني لا أريد أن أتسامح ؛ لأن تلك هي

مهنتي ... عرفت الآن ؟ ...

الزوجة : أعرف دائماً أنك مصلح اجتماعي ، وأن عملك ...

المصلح : عملي هو أن أبدأ بالثورة على الوضع الفاسد ، أو على الأقل

أشعر بضرورة تغييره ... أليس كذلك ؟ ...

الزوجة : طبعاً ...

المصلح : إذن لا تسامح ! ... لأن التسامح ليس من صفات المصلح ،

لأن معناه التغاضي عن الفساد ، أى القعود عن

الإصلاح ، أى إلغاء مهمته ، وبإلغاء مهمته يلغى

وجوده .. فهل تريدان أن يلغى وجودي ؟! ...

الزوجة : بالطبع لا ! ...

المصلح : إذن لا تطلبى مني أن أتسامح ، عندما أرى شيئاً لا يعجبني

هنا ! ...

الزوجة : في قرينتنا ؟! ...

المصلح : وآخرتها معك ؟! ... قلت لك لا أقصد قرينتك

بالذات ... أقصد كل القرى ... كل الريف ! ...

الزوجة : اعذرني يا عزيزي ! .. أنت هنا ضيفنا ... والمضيف

— ١٢٥ —

حساس بأقل نقد من الضيف ! ...

المصلح : إني لست ضيفك ... إني زوجك ...

الزوجة : ماذا تعنى ؟ ...

المصلح : أعنى أن واجبك أن تفهمينى مجرداً من كل صفة ، إلا صفة

الزوج ورسالته ! ...

الزوجة : إني آسفة ..

المصلح : أعترف أنى لم أكن لبقاً ، ولا مجاملاً فى أمور كثيرة هنا ...

ولكنى ...

الزوجة : ولكنك تؤدى مهمتك ! ... فهت الآن !! ...

المصلح : نعم ! ... مهمتى هى إصلاح الناس ... إني أتمنى لو

أغمض عيني ثم أفتحها فأرى الفقر من حولى قد تلاشى ،

وأرى الناس يعيشون فى حياة أفضل ...

الزوجة : حقاً ... إنك دائماً تتحدث عن حياة أفضل ...

المصلح : إنها آتية لا ريب فيها ... إني أحيا هذا الأمل ... وأعمل من

أجله وأتصور مبلغ سعادتى إذا تحقق ذلك فى حياتى ...

أعرفين ماذا كنت أصنع عند دخولك الساعة ؟ ...

الزوجة : كنت تقرأ ! ...

المصلح : نعم ... كنت أقرأ قصة « فاوست » ... قصة ذلك العالم

الفيلسوف الهرم الذى باع نفسه للشيطان ، كى يردّه إلى

الشباب : أى إلى تلك الحياة التى هى أفضل فى نظره ...

كنت أقرأ الآن هذه القصة ؛ وأسائل نفسي : ترى لو
جاءنى الشيطان الليلة ، ماذا أطلب إليه ؟ ...

الزوجة : ستطلب إليه بالطبع حياة أفضل ...

المصلح : نعم ! ... ولكن ليس لنفسى ! ...

الزوجة : للناس !! ...

المصلح : بالضبط ! ...

الزوجة : قم إذن يوم ... هذا خير لك ... (الساعة تسدق

دقة) ... ها هو ذا الليل كاد ينتصف ! ...

المصلح : اذهبي أنت ونامي ! ... لا بد لي من إتمام القراءة للفصل
الأخير ! ..

الزوجة : (وهى خارجة) تصبح على خير ! ...

(تخرج وتترك زوجها وحده فى الحجرة ... وقد

عاد إلى كتابه واستغرق فى القراءة ، ... ويأخذ

نور المصباح فى التناقص شيئاً فشيئاً ، دون أن

يشعر ... وفجأة يبدو شبح قرب الباب ... هو

« الشيطان » ! ..)

المصلح : (دون أن يرفع رأسه عن الكتاب ، وقد أحس بوجود

أحد فى الحجرة ظنه زوجته) عُدت مرة أخرى ؟ ...

قلت لك اذهبي أنت ونامي ! ..

الشيطان : لقد ذهبت بالفعل ونامت ...

— ١٢٧ —

المصلح : (يلتفت مذعوراً) من هذا ؟ ! ...

الشیطان: هذا أنا ! ...

المصلح : من أنت ؟ ...

الشیطان: أنا الذى تقرأ عنه الآن فى كتابك ! ... وكنت تسأل

نفسك بشأنه منذ قليل ! ...

المصلح : الشیطان ؟ ! ...

الشیطان: خادمك ! ...

المصلح : إنى ... إنى ...

الشیطان: لا داعى لإضاعة الوقت فى الفزع التقليدى ! ... لقد

جئت لأقوم بخدمة ..

المصلح : إنى ما فزعت ، ولكنى فوجئت ...

الشیطان: والآن ... هل انتهى الوقت المخصص للمفاجأة ؟ ! ...

هل ندخل فى الجدل ؟ ...

المصلح : تفضل !! ...

الشیطان: عرفت بالطبع حكايتى مع الفيلسوف « فاوست » ، كما

رويت فى الكتاب الذى بين يديك ... إنها حكاية تعاقد تم

بيننا .. وقد وفيت أنا بجميع تعهداتى بالتمام والكمال ،

وأعطيته الشباب ... أما هو فلم يقم بتعدهه ، ولم يعطنى

الثلث حتى الساعة ! ...

المصلح : الثلث ؟ ! ...

الشیطان: نعم ... الثمن ... وهو نفسه ألم يتعهد صراحة ، ويوقع على تعهده بأن يمنحني هذه النفس ؟ ... حصل أو لم يحصل ؟ ... ولكن جاءت ساعة قبض الثمن ، فإذا بهذه النفس قد تبخرت أو تغيرت ... لست أدري ما الذى حدث لها ؟ ... فإذا هي تصعد أو ترقى إلى أعلى .. ولا يستطيع اللحاق بها ... أرأيت غش صديقك ؟ ...

المصلح : صديقى !؟ ..

الشیطان: المهم أنت الآن أمام شخص أمين فى المعاملة بفى بوعده ويحترم توقيعه ...

المصلح : وما دخلى ؟ ...

الشیطان: تستطيع أن تعلمن إلى أى تعاقد يقوم بيننا ...

المصلح : بينى وبينك !؟ ...

الشیطان: ولم لا ؟ ... ألم تفكر فى ذلك منذ قليل ؟ ...

المصلح : بلى ... على سبيل الخيال أو المداعبة ... ولكن عندما يتخذ الأمر صفة الجد ...

الشیطان: هذا أدمى إلى الإقدام ! ...

المصلح : أضع يدى فى يدك !؟ ... إنى لست فيلسوفا يبحث فى

مصيره الخاص ... إنى مصلح ... يريد النهوض بمصاير

الآخرين ... فكيف أضع مصاير الناس فى يد

الشیطان !؟ ... أليس هذا مناقضا لرسالتى كل

التناقض؟! ...

الشیطان: إنك تتلاعب بالألفاظ ! ...

المصلح: إني أقرر حقيقة ...

الشیطان: الحقيقة الوحيدة هي أني الآن على أتم استعداد لمعاونتك في

إصلاح الناس .. هل تقبل أو لا تقبل ؟ ...

المصلح: إصلاح الناس !؟ ...

الشیطان: في طرفة عين ! ...

المصلح: أنت تفعل هذا !؟ ...

الشیطان: جربني ! ...

المصلح: ما هو الثمن !؟ ...

الشیطان: بسيط جداً ... لن أطلب إليك أن تمنحني نفسك ...

اطمئن ! ... مسألة النفوس هذه ، لم تعد صفقة

مضمونة ! ... لا ... لا شأن لي الآن بنفوسكم ! ...

إني لا أفهمها كثيراً ... ومن الخطأ التعامل بسلعة غامضة

وبضاعة غير مفهومة ! ... كثيراً ما كانت موضع غش

وخديعة ! .. لا يا سيدى ! ... أنا اليوم غيرى

بالأمس .. كنت فيما مضى شاباً نازقاً ، يحلوه أن يتحدثى

الخير ، وأن يغرى الناس بالإثم والشر ... أما اليوم فأنا

شخص آخر ! ...

المصلح: شخص آخر !؟ ...

(سر المنتحرة)

الشیطان: نعم ... أنا اليوم ، كما ترى ، كهل متزن ... ولقد تغير ذوقی تبعاً لذلك ... فصرت أميل إلى مصاحبة العلماء والمصلحين ... وصارت هوايتی المعاونة فی الخیر والإصلاح ... ودليلی هو أنى هرعت إليك ، عندما سمعتك تطلب حياة أفضل لقومك لأنفسك ... ولو أنك طلبت حياة أفضل لذاتك وحدها ، كما فعل « فاوست » — فيما مضى — لما أغراني ذلك بالمجيء الليلة إليك ! ... فأنا لا أحب أن أكرر نفسى فى تجربة قديمة ! ... إن العصور القديمة قد ذهبت ! ... أنا الآن فى عصر جديد يغرينى بتجربة جديدة — خدمة المجموع لا خدمة فرد ! ...

المصلح : تستطيع حقاً أن تعاوننى فى خدمة المجموع ؟ ...

الشیطان: قلت لك : فى طرفه عين ! ...

المصلح : نعم ولكن ... الثمن ؟ ...

الشیطان: بسيط جداً كما قلت لك ! ...

المصلح : ما هو ؟ ... تكلم ! ...

الشیطان: أن تكون رجلاً صادقاً ...

المصلح : وبعد ! ...

الشیطان: لا شىء غير ذلك ...

المصلح : والثمن ؟ ...

— ١٣١ —

الشيطان: هذا هو كل الثمن : أن تكون رجلاً صادقاً ! ..
المصلح : أتعطيني دروساً في الأخلاق !؟ ... إلى دائماً كنت
صادقاً ! ...

الشيطان: اتفقنا إذن ! ...
المصلح : أهذا هو كل ما تطلبه مني !؟ ..
الشيطان: لا أطلب أكثر من ذلك ! ...
المصلح : هذا عجيب ! ...

الشيطان: ألم أقل لك إلى صرت شخصاً آخر !؟ ... ماذا كنت
تنتظر مني أن أطلب إليك ؟ ... أليس من الواجب أن
يكون طلبى متفقاً مع مبادئ الجديدة ؟ ..

المصلح : تريد إذن أن تبدأ بإصلاحى !؟ ...
الشيطان: عفواً ! ... لست أقصد ذلك ...
المصلح : على كل حال ثو أنى رجل صادق ..
الشيطان: وهذا اعتقادي .. ولكنى تقدمت بطلبى ليطمئن
قلبي ! ...

المصلح : لا خلاف بيننا إذن ... عليك أن تقوم بالمعانة في
الإصلاح ...

الشيطان: وعليك أن تقول للناس الصدق ...
المصلح : (في قلق) ماذا تعنى ؟ ...
الشيطان: أظن أن المعنى واضح ! ...

— ١٣٢ —

- المصلح : تعنى أن على أن أقول للناس إنك ...
- الشیطان: بالضبط ! ... إني عاونتك في الإصلاح ...
- المصلح : تريد أن أقول للناس إن الشيطان قد عاوننى في إصلاحهم !! ..
- الشیطان: هذا هو الواجب ! ..
- المصلح : (صائحاً) أهذا معقول ؟! ..
- الشیطان: ولم لا ؟ ... أليس هذا هو الصدق ؟! ...
- المصلح : الصدق ؟ ... نعم ! ... ولكن ...
- الشیطان: ولكن ماذا ؟ ... ليست لك الشجاعة أن تكون أمام الناس رجلاً صادقاً ! ...
- المصلح : إنك لا تتصور وقع هذا القول عليهم ! ..
- الشیطان: وماذا كنت تريد إذن أن تقول لهم ؟ .. هب أن أحدهم سألك : كيف استطعت هذا الإصلاح بهذه السرعة ؟! ... ماذا يكون جوابك ؟ ...
- المصلح : بمعونة الشيطان ؟ ... كلا .. هذا مستحيل ! ... لن أستطيع أن أصارح الناس بأن الفضل في إصلاحهم ، راجع إلى معونة الشيطان !! ...
- الشیطان: ستمتّع إذن عن قول الصدق ؟! ...
- المصلح : نعم ! ... سأمتنع ! ..
- الشیطان: وماذا تسمى موقفك هذا في نظر أخلاقك ؟! ..

المصلح : لست أدري ! ..

الشیطان: كنت إذن ستخدعنى ... أنت أيضاً !! ..

المصلح : الثمن باهظ ... لا يمكن الوفاء بمثل هذا الثمن ! ...

الشیطان: حتى كلمة الصدق لا أستطيع أن أتقاضاها منكم !! ..

المصلح : ضع نفسك فى موقفى ! ...

الشیطان: ليس لى هذا الشرف ... إنى مخلوق قد اعتاد من قديم

الزمان أن يكون صريحاً مع نفسه ، وأن يسمى الأشياء

بأسمائها ... الشراسمه الشر ... والجبن اسمه الجبن ...

والكذب اسمه الكذب والنذالة اسمها النذالة ! ...

المصلح : إنى آسف ...

الشیطان: أخفق الاتفاق إذن ؟! .. سأعود من حيث جئت ...

وليبق قومك فى بؤسهم ، وفقرهم ، وشقائهم ! ... وإذا

استيقظ فى الغد ضميرك ، فتشجع وصارحه هذه المرة

بالحقيقة ... واذكر له اسم المسئول عن هذا الفشل ...

المصلح : تريد أن تحملنى أنا المسئولية ؟! ...

الشیطان: شئ عجيب ! ... أو تريد منى أن أتحملها أنا

أيضاً ؟! ...

المصلح : لا أريد منك ذلك ... ولكن ثق أن ضميرى سيستيقظ فى

الغد مستريحاً ! ...

الشیطان: بالطبع ! ... أعرف ذلك جيداً ! ... هذه أشياء تحدث

— ١٣٤ —

ل كل يوم ... ما دمت أنا موجوداً في هذه الدنيا ، فإن
أكثر كم يعيش مستريح الضمير بعد أن يلقي بأوزاره وتبعاته
على شخصى الحقيير ! ...

المصلح : أجنث الليلة لإهانتى !؟ ...

الشیطان: عفواً ! ... إلى ما جنث إلا لمعاونتك ! ...

المصلح : إنك لم تعاونى ... ولكنك كشفت عن طواياك ! ...

الشیطان: بل كشفت عن حقيقتك ! ...

المصلح : حقيقتى !؟ ...

الشیطان: إنك لا تحب الناس بقدر حبك لنفسك .. إنك لست

حريصاً على إصلاح قومك ، بقدر حرصك على سلامة

موقفك ! ...

المصلح : (صائحاً) اخرج من هنا ! ...

الشیطان: (باسمها) غاظك ظهور الحقيقة ؟ ...

المصلح : اذهب عني أيها اللعين ! ...

الشیطان: (منصرفاً بابتسامة) سأذهب ... وأرجو لضميرك نوما

هادئاً ! ...

المصلح : انتظر ...

الشیطان: (يقف) أمرك ! ...

المصلح : قبلت الشرط ! ...

الشیطان: ستقول للناس الصدق !؟ ...

— ١٣٥ —

المصلح : نعم ؟ ...
الشیطان: ستصارع قومك بأن الشیطان عاونك فی إسعادهم
وإصلاحهم !؟ ...
المصلح : سأصارعهم ! ...
الشیطان: سیرجمونك بالحجارة ! ...
المصلح : أعلم ذلك ...
الشیطان: هات يدك ! ... الآن أنت مصلح حقیقی ! ...
المصلح : أتمزح !؟ ...
الشیطان: بل أقول الجد ... المصلح الحقیقی هو الذی یقدم ، وهو
یتوقع الرجم ! ...
المصلح : قل لی الآن کیف ستصلح قومی !؟ ...
الشیطان: سترى بعینیک ! ...
المصلح : متى ؟ ...
الشیطان: فی طرفه عین ! ... هکذا وعدت ...
المصلح : نفذ وعدك ! ...
الشیطان: أغمض عینیک ثم افتحهما ! ...
(المصلح یغمض عینه ... وعندئذ تبرق الدنیا
ببرق خاطف ...)
المصلح : (یفتح عینه) لقد فعلت ! ...
الشیطان: وأنا قد نفذت ! ...

— ١٣٦ —

المصلح : أين هذا ؟! ...

الشیطان: قم وانظر من هذه النافذة ! ...

المصلح : (ينهض وينظر من النافذة ويصيح دهشة) إلهى ! ...

أين القرية ؟ ... أين الأكواخ ؟ ... أين القرية

القدرة ؟ .. أين الأكواخ الحفيرة ؟! ... ما كل هذه

المباني الجميلة ؟ ... ما كل هذه البساتين العامة ؟ ... ما

كل هذه « الفيلات » التى تحيط بها الحدائق

الصغيرة ؟! ... يا للمعجزة ! ... أقومى يعيشون فى هذه

الجنة ؟! ...

الشیطان: طبعاً ! ...

المصلح : (فى فرح شديد) يا للسعادة ! .. إنهم ولا شك جميعاً

سعداء ! ...

الشیطان: بدون شك ... أترید أن ترى أحدهم ؟ ...

المصلح : نعم ! ... أرجوك ! ...

الشیطان: سأحضر لك من كان أفقرهم وأحقهم شأنًا ! ...

المصلح : رأيت هذا الصباح تحت شجرة السنط المواشى ، ومعها

الأجير الذى يسرحها ، أقدر منها وأحق ، بثوبه الوحيد

الخلق الذى لا ينستر جسمه العارى ، وخلفه امرأته فى مثل

فقره تجمع بيديها الروث ؛ لتعجن منه وقوداً ! ...

الشیطان: سأحضرهما لك ... لحظة واحدة ...

(يصفق الشيطان بكفيه ... فيفتح الباب

ويظهر منه فلاح في ثياب عصرية وخلفه فلاحه

في زى نسائي متحضر ..)

المصلح : (محملاً فيهما بدهشة) نعم ! ... هما بعينهما ،

ولكن ! ...

الشيطان: في مقدورك أن تحادثهما كما تشاء ! ...

المصلح : (للفلاح) تفضل اجلس يا سيدى الفاضل ! ... الاسم

الكريم ؟ ...

الفلاح : محسوبك « محروس الجرف » ...

المصلح : (للفلاحه) والست ؟ ...

الفلاحه : (بحياء) اسمي « خضرة » ! ...

المصلح : ألا تذكراننى ؟ ... لقد رأيتهما هذا الصباح ، تحت

شجرة السنط قرب ..

الشيطان: (همسا) إنهما لا يذكران هذا الصباح إلا كما تذكر أنت

طفولتك عند ولادتك ... دعك من ماضيهما ...

حادثهما في الحاضر ! ...

المصلح : (للفلاح) قل لي يا .. « سيد محروس » ... ماذا تعمل

الآن ؟ ...

محروس : أعد أرضى للزراعة الشتوية ...

المصلح : أرضك !؟ ...

- محروس : نعم ... أقصد العشرين فدانا ؟! ...
- المصلح : أتملك عشرين فدانا ؟! ...
- محروس : وهل هذا كثير ؟! ... أفقر فلاح في الناحية يملك عشرين فدانا ، مع منزله الصغير ، وحديقته ! ...
- المصلح : منزله وحديقته ؟! ...
- محروس : نعم منزله الذى يسميه « الفيللا » ...
- المصلح : « فيللا » ؟! ... « للفلاحة » أتسكنين « فيللا » يا ..
- ست « خضرة » ؟! ..
- خضرة : طبعا ... وأين أسكن ؟! ...
- المصلح : (مبهورا) ما شاء الله ! ... ما شاء الله ! ...
- محروس : سيادتك غريب على البلد فيما يظهر ! ...
- المصلح : غريب جدا ...
- محروس : نعم ... لا أذكر أنى رأيتك قبل الآن ...
- المصلح : أما أنا فقد سبق ... قل لى يا سيد « محروس » ... هل عندك أجير يسرح لك المواشى ؟! ...
- محروس : المواشى ؟! ... ليس عندنا غير جاموسة واحدة لحلب اللبن ، نضعها فى زريبة صغيرة بالحديقة بجوار مكان الدواجن ، وتشرف عليها زوجتى ! ...
- المصلح : وأعمال الغيط ؟! ...
- محروس : لا نستخدم المواشى فى أعمال الغيط .. لدينا المحاريث

والجرارات و « الماكينات » البخارية ! ...

المصلح : أتملك أنت كل ذلك ؟ ...

محروس : بل تملكها الجمعيات التعاونية ، وتقوم هي بخدمة جميع
الملاك أمثالنا .. في نظير الاشتراك السنوى طبعاً ! ...

المصلح : (مبهوراً) شئ جميل ! ... جميل ! ... جميل
جداً !! ... أنتم على ذلك في غاية الرخاء ؟ ...

محروس : نحمده ! ... ولكن ...

المصلح : ولكن ماذا ؟ ...

محروس : لى جار ملاصق يملك أربعين فدانا ... أردت أن أشتري منه
خمسة فدادين فرفض الملعون ! ...

المصلح : وهل أنت الآن محتاج ؟! ...

محروس : وهل هو محتاج ؟! ... إن له على الأقل أولاداً أكثر منى ،
يعملون كلهم بأجور مجزية في مصانع القرية ...

المصلح : وهل في القرية مصانع ؟! ..

محروس : طبعاً ... مصانع زراعية للجبن واللبن المحفوظ والخضر
والفاكهة المعبأة ! ...

المصلح : لاستهلاككم المحلى ! ...

محروس : لنا ولغيرنا ...

المصلح : ما شاء الله ! ... شئ جميل ! ... ما من شك في أنكم في
رخاء وسعادة ... والآل قل لى يا سيد محروس ! ...
ماذا تعمل في وقت فراغك ؟ ... لا بد أن لك وقت فراغ

بالطبع ، وأنتم في هذا المستوى من المعيشة ! ...
 محروس : وقت فراغى ؟! ...
 خضرة : أنا أقول لك بالحق يا سيدى .. تريد أن تعرف كيف يمضى
 ليله مع إخوانه : الشاى والحشيش ! ...
 محروس : (لزوجته منتهرا) اخرسى ! ...
 المصلح : (مصدوما) الحشيش ؟! ..
 محروس : لا تصدقها .. إنها حرمة مغتازة موتورة ؛ لأننى أريد أن
 أتزوج عليها أخرى ! ...
 المصلح : تتزوج عليها أخرى ! ...
 خضرة : نعم يا سيدى ! ... إنه لاهم له الآن سوى البحث عن
 زوجة جديدة ! ...
 المصلح : ولماذا ذلك ؟! ...
 خضرة : قل له يا سيدى ! ... لماذا يفعل ذلك ، وأنا أخدمه ،
 وأرعاه ، وأسهر على راحته ، ومنذ زمن طويل ! ..
 محروس : أليس لى الحق أن أمتع نفسى ؟! ...
 المصلح : تمتع نفسك بمثل هذا العمل ؟! ..
 محروس : حالتى طيبة ، وفلوسى فى جيبى ؛ والأشياء معدن ! ...
 لماذا أحرم نفسى ؟! ...
 المصلح : ألا تعرف طرقا أخرى تمتع نفسك ، غير الحشيش
 والنسوان ؟! ...

— ١٤١ —

خضرة : قل له يا سيدى ! ... قل له ! ...

محروس : اسكتى أنت يا امرأة ! ...

المصلح : لماذا لا تمتع نفسك بقراءة كتاب جيد ؟ ... أو بمحادثة

زوجتك في موضوع ظريف ؟ ... أو الإصغاء إلى إذاعة

لطيفة في « الراديو » ؟ ...

محروس : « الراديو » عندنا في حجرة الضيوف يبيض عليه

الدجاج ، وتلعب فوقه الكناكيت ! ...

خضرة : كذاب ! ...

محروس : احلفى أن هذا لم يحصل !؟ ...

خضرة : وماله ؟ ... هل نحن وحدنا ... غيرنا يترك الأرائب تلد

تحت الفراش ... وبلاليص المش والعسل الأسود خلف

الكنبه ...

محروس : كفاية يا حرمة ! ... لا داعى لكشف سترنا أمام

الناس ... عودى إلى دارك ! ...

خضرة : وأنت إلى حشيشك وشايك ! ...

محروس : هس ! ... امشى قدامى ! ...

(يشيران بالتحية ويخرجان ...)

الشیطان: ما قولك الآن ؟ ... هأنذا قد وفيت بوعدى ! ...

المصلح : (فى وجوم) نعم ! ... ولكن ...

الشیطان: ولكن ماذا ؟ ...

المصلح : أهذه هى كل الحياة الأفضل ؟ ...
 الشيطان : ألم تتغير حياتهم ؟ ... ألم يتحول بؤسهم إلى رخاء ؟ ..
 ما الذى ينقصهم ؟ ...

المصلح : النفس ! ...

الشيطان : ماذا تقول ؟ ...

المصلح : إنك لم تصنع شيئاً جديداً ... إنك جعلتهم على غرار
 الطراز المعروف لأولئك الأثرياء من ملاك الريف ! ...
 لقد دخلت فيما مضى قصرأ لثرى ريفى يملك أكثر من
 عشرين ألف فدان ، ورأيت بعينى رأسى الماعز يمشى على
 السجاجيد الثمينة فى الصالون الذهبى الفاخر ! ... كما
 رأيت أقطاب هذا البيت لا يفقهون من معنى الحياة أكثر مما
 يفهم صاحبك « محروس » ! ... يرتدون أفخر الثياب ،
 ويذهبون إلى أوروبا بالباخرة والطائرة والكادىلاك ،
 ويعودون وما فهموا من متع النفس أكثر مما يفهم
 « محروس » ! ...

الشيطان : لست أفهم بالضبط ماذا تعنى ؟ ..

المصلح : أعنى أن ثروة المال شيء ، وثروة النفس شيء آخر ! ...
 الشيطان : ثروة النفس ؟ ...

المصلح : نعم ! .. هذا ما كان ينبغى لك أن تفهمه .

الشيطان : ما فهمته هو أنك تريد لقومك حياة أفضل .. وما من أحد

— ١٤٣ —

ينكر أن حياة هذا الفلاح الآن أفضل بكثير من حياته الأولى ، عندما رأيته مع المواشى « تحت » الشجرة ! ...
المصلح : حقاً ! ... أفضل من جهة اللبس ، والمأكل ،
والمسكن ! ...

الشیطان: وماذا تريد أكثر من ذلك ؟!
المصلح : أريد إنساناً أرقى ... أريد إدراكاً أفضل لمعنى الحياة ...
معنى الحياة عند الأجير الفقير والمالك الثرى شيء واحد
حشيش ، ونساء ... أليس كذلك ؟! ...
الشیطان: وأخيراً ؟! ...

المصلح : أنت لم تعط قومي إذن الحياة الأفضل ... الحياة الأفضل
هى المعنى الأفضل للحياة ! ...
الشیطان: هذا ليس فى شرطنا ...

المصلح : شرطنا هو أن تصلح الناس ... وإصلاح الناس يشمل
إصلاح النفس قبل كل شيء ! ...
الشیطان: النفس ! ... النفس ! ...

المصلح : هذا هو جوهر الإنسان ! ...
الشیطان: ألم أقل لك إنك ستخادعنى ، كما خادعنى « فاوست » من
قبلك ؟! ... إنكم دائماً تخدعوننى من هذه الناحية ...
النفس ... لعنة الله على النفس ... كل المتاعب لا تأتىنى
إلا من هذه الكلمة ... وداعاً ! ...

— ١٤٤ —

المصالح : أنتصرف ؟ ...

الشیطان : لم یبق لی غیر الانصراف .. إن ما تطلبه لا أستطیعه أنا ..
لا یستطیع هذا النوع من الإصلاح الذی تتحدث عنه غیر
شخص واحد ..

المصلح : من هو ؟

الشیطان : أنت !

(یتصرف الشیطان ... ویقی المصلح مکبا علی
کتابه ... فتدخل علیہ زوجته وتوقظه
برفق)

الزوجة : قم الآن وغم فی فراشک ! ...

المصلح : (یب متلفتا) هل انصرف !؟

الزوجة : من هو !؟ ...

المصلح : ها أنت ذی یا عزیزتی ! ... أکنت نائما !؟ ...

الزوجة : نوما عمیقا فوق کتابک ...

المصلح : نعم ... نعم ... یا للعجب ! ...

الزوجة : (تتأمله فی قلق) ماذا بک !؟ ..

المصلح : (کالمخاطب نفسه) تصوری أن إصلاح الناس یعجز عنه
من یملك أخطر قوة علی الأرض ! ...

الزوجة : عمن تتکلم ؟ ...

المصلح : کیف أبتطیع أنا ما لم یستطعه هو !؟ ...

— ١٤٥ —

الزوجة : (بقلق) من هو ؟ ...

المصلح : (متابعا تفكيره) لأنه قد أعطى القدرة على كل شيء ، وكتب

عليه العجز عن شيء واحد: صنع نفس أفضل ! ...

الزوجة : نفس أفضل ؟! ...

المصلح : هنا عملي ! ...

بين الحرب والسلام

فصل واحد
١٩٥١

(حجرة خاصة لسيدة تدعى « السياسة » ...
بها فرش وثيرة ... وأثاث للزينة ذو مرايا عديدة
وضعت عليه الأدوات والأصباغ ! ... ثم خزانة
ملابس ضخمة ، في صدر المكان مصباح وردي
يضيء الحجرة إضاءة شعرية شاحبة ، في ذلك
المساء ... والسيدة جالسة إلى مرآة الزينة تطل
شفتيها بالأحمر ... وقد جلس على مقربة منها رجل
حسن المنظر ، تبدو عليه الدماشة واللطف ،
يدعى « السلام »)

السلام : (ناظراً إليها ملياً) تحبين الزينة فيما أرى ! ...
السياسة : (بدون أن تلتفت إليه) عادة ! ... عادة قديمة ! ...
السلام : نعم ! ... ويالها من عادة ! ... ولكن الغريب أنك
تستخدمين أصباغك هكذا علناً ! ...
السياسة : لقد أصبح من السذاجة أن نخفي ما يعرفه الجميع ! ...
السلام : حتى أمامي ؟ ! ... وفي حضوري ؟ ! ... تفعلين ذلك ،
ولا تجدين حرجاً ؟ ! ...
السياسة : هذا خير من أن تراني قبيحة ! ...
السلام : قلت لك يا عزيزتي ألف مرة : إنني أحبك على

حقيقتك ! ...

السياسة : أتظن ذلك ؟! ...

السلام : أقسم لك ! ... ولكنك لا تثقين بقسمي ! ... إنك

باردة القلب لاتؤمنين بحب ! ... ولكني أنا أؤمن بأنى لا

أستطيع أن أعيش إلا بك ! ...

السياسة : (وهى تنظر فى المرأة بدلال) ألفاظ أسمعها كثيرا ! ...

السلام : تسمعنيها كثيرا ؟! ... بمن ؟ ... من غيرى ؟ ... من

زوجك ؟! ...

السياسة : (بغير مبالاة وهى تسوى أحمر شفيتها) نعم ! ... من

زوجى أيضا !

السلام : زوجك ! ... هذا الفظ الغليظ ! ... هذا الثقيل المدعو

« الحرب » ! ... يستطيع مثله أن ينطوى على شعور

رقيق ؟! ...

السياسة : (وهى تتناول أصبع الأحمر) إنه يقول هو الآخر إنه لا

يستطيع أن يعيش إلاى ! ...

السلام : يحبك إلى هذا الحد ؟! ...

السياسة : (بدلال) أتغار منه ؟! ...

السلام : إنى أمقته ! ... أمقته ! ...

السياسة : (باسمه) لا شك أنه يبادلك عين الإحساس ! ..

السلام : حذار أن يكون قد ارتاب فى وجود علاقة بينى

— ١٥٠ —

وبيبك ! ...

السياسة : أتريد أن أصدقك القول ؟ ...

السلام : (صائحا) يا للكارثة ! ... أقلت له ؟! ...

السياسة : أنا مجنونة ؟! ... اطمئن ! ... هدىء روعك ! ...

السلام : ماذا يعلم عنى ؟! ...

السياسة : يعلم فقط أنك تغازلنى من حين إلى حين ...

السلام : أغازلك ؟! ...

السياسة : هذا ما لم يكن فى الإمكان إخفاؤه ... وهذا ليس ذنبى أنا

يا عزيزى ! ... فقد ضبطك وأنت تطلبينى بالتليفون ذات

مرة ، ثم ضبطك يوما تقف فى الطريق أمام باب البيت ،

وتتطلع إلى نافذتى ، وتصفر بفمك أغنيتك المعهودة ...

فلما رأيته يقبل نحوك هربت ... أليس كذلك ؟ ... ثم

ضبط أخيراً هديتك إلى التى سلمتها للبواب ! ... أزهار

المشمس البيضاء ، المتفتحة على أغصانها ... تذكرة

بحلول الربيع ! ...

السلام : هل سألك عنى ؟! ...

السياسة : بالطبع ! ... وأجبتة : شاب « يعاكسنى » ولا حيلة لى

فى منعه ... أليس هذا خير مخرج ؟! ..

السلام : وماذا قال عندئذ ؟! ...

السياسة : لم يقل شيئاً ... زجر فقط ، ثم همس من بين أسنانه :

أرجو أن يقع يوما في قبضتي هذا الشاب ، بغصنه
الأبيض ... وأهشم رأسه ، وأكسر عوده ! ...

السلام : (مرتعدا) الله يشرك بالخير !! ...

السياسة : (باسمة) هل خفت ؟ ..

السلام : (ملتفتا إلى الأبواب المغلقة) آنت واثقة أنه الليلة
مسافر ؟! ..

السياسة : أبلغ في الهوس أن أدعوك إلى حجرتي ؛ ليلقاك زوجي ،
ويهشم رأسك الجميل ؟! ...

السلام : ربما كان يسرك هذا المنظر ! ...

السياسة : إنك لا تعرفني أيها العزيز ، ولا تعرف ما يسرني ، وما
يسوءني ! ...

السلام : أعرف على الأقل أن وجودي معك لا يسوءك كثيرا ! ...

السياسة : ما دمت تعرف ذلك فقيم القلق ؟! ...

السلام : كيف لا أقلق وأنا أحبك ؟! ... إني أعرف كل ما في
قلبي .. ولكنني لا أعرف كل ما في قلبك ... من أدراني

أنك لا تعبتين بي ؟! ...

السياسة : وما مصلحتي ؟! ...

السلام : وهل من السهل فهم مصلحتك ؟! ... أليس من المحير
للعقل أن ترضى فاتنة ذكية ، لبقة مثلك ، بهذا الثقل

الفظ زوجا ؟! ..

— ١٥٢ —

السياسة : هذا الزواج على كل حال لم يقم على الحب والغرام ! ..

السلام : أنت إذن لست سعيدة معه ؟ ...

السياسة : (تنهد) سعيدة !! ..

السلام : إني أرى لك يا عزيزتي ... وأتمنى لو أنقذك مما أنت فيه ...

إني طوع أمرك .. كلمة من بين شفتيك ، وأنا أحملك

بعيداً عن هذا الوحش ! ...

السياسة : كيف تستطيع ذلك ؟ ...

السلام : المسألة في غاية البساطة ... نهرب معا ، ونترك البلد ،

ونسافر إلى أى مكان ! ...

السياسة : هكذا على رءوس الأشهاد ! ... تريدها إذن

فضيحة ! .. إنك لا تعرفنى .. إني أيها العزيز أكره

الفضائح المكشوفة ...

السلام : (يفكر قليلا) هناك حل آخر ! ... ولكنه يتوقف على

هنتك أنت أولا ! ...

السياسة : ما هو ؟ ...

السلام : واجهى زوجك بكل صراحة ، وقولى له بكل شجاعة :

إني لا أحبك ولا أحتمل قربك ... ولا ينبغي لى أن أقرن

حياتى بحياتك ... ولا يجوز أن يعيش أحدا مع الآخر ،

تحت سقف واحد ! .. وإنه لم يبق هنالك مفر من

الطلاق !! ...

— ١٥٣ —

السياسة : الطلاق ؟! ...

السلام : نعم ! ... هذ ما ينبغي أن تسعى إليه وتلحى فيه ؛
لتتخلصى من هذا الزوج ! ...

السياسة : لا داعى إلى السعى والإلحاح ... هذا لا يكلفنى أكثر من
كلمة ... إن بينى وبينه رهانا ... لعبنا بالأمس لعبة
« يدس » ... أتعرف لعبة « اليدس » ؟! ..

السلام : لا ..

السياسة : هى لعبة بسيطة : كل منا يحاول أن يعطى الآخر شيئا ،
فإذا أخذه ساهيا ناسيا ولم يقل « فى بالى » ... أسرع
الآخر قائلا « يدس » وأملى شروط انتصاره .. إنى واثقة
من أنى سأنتصر عليه ... وهنا أستطيع أن أجعل شرط
انتصارى أن يمنحنى « الطلاق » ! ... أرايت كيف أن
هذا أمر لا يكلفنى أكثر من كلمة ! ...

السلام : (يفرح) إذن أسرعى ! ... والله معنا ! ..

السياسة : وبعدئذ ؟ ...

السلام : أتزوجك أنا ... ونعيش معا أخيرا فى سعادة حقيقية
دائما ! ..

السياسة : (باسمة) شىء جميل حقا ! ..

السلام : أليس هذا هو خير حل !! ..

السياسة : يالك من ساذج أيها العزيز ! ...

السلام : (مصدوما) ماذا تقولين ؟ ...

السياسة : يطلقنى هو ؛ لتزوجنى أنت ؟! ...

السلام : أترفضين ؟ ..

السياسة : لست أرفضك أنت ، فأنت تعرف شعورى نخوك ؛ ...

إنك تريد أن تكفل لى السعادة وربما كانت السعادة

حقا فى كنفى .. من يدري ؟! ولكن هل من حقى أنا أن

أفكر فى السعادة وأتحدث عنها ؛ ... وهل أنا أهل

لها ؟! ... إلى خائفة ؛

السلام : خائفة منى ؟! ...

السياسة : خائفة من المستقبل ؟! ..

السلام : وهل زوجك هذا هو الذى يشعرك بالأمن والاطمئنان على

المستقبل ؟! ...

السياسة : إنه على كل حال ذو سلطان ، وقوة ، ونفوذ ؛ ..

السلام : نعم ؛ ... هذا صحيح ؛ إنك تعتمدين على قوته فى تحقيق

كثير من مطالبك ، وتنفيذ كثير من أغراضك ... ولكن

السعادة ؛ ... السعادة ... السعادة ؛ ...

السياسة : (تتند) آه .. نعم ؛ ... يا للحلم الجميل ؛ ...

السلام : لا بد لنا من التضحية بأشياء لنظفر بأحلامنا الجميلة ؛ ...

السياسة : ولكن الأحلام الجميلة يجب أن تكون قصيرة كهذه

الأويقات التى نقضيها معا ، ونختلسها من الدهر

اختلاسا ؛ ... إنها لذيدة لأنها نادرة ... تأتى فى فترات ؛

— ١٥٥ —

كأنها النسمات ، في أيام الحر الشديد ! .. بالله عليك أيها العزيز ! ... لا تضع هذه اللحظات في مثل هذا الكلام غير المجدى ! .. دعنى ألبس لك أبدع ثيابى ، لأكون جديرة بهذه السهرة معك ! ... (تنهض وتتجه إلى خزانة ثيابها وتفتحتها) .. ماذا تحب أن ألبس هذه الليلة ؟! ..

السلام : (يلقي نظرة طويلة إلى ما فى الخزانة) كل هذه الأثواب لك ؟ ...

السياسة : إنى أحب التغيير والتبديل ! ..

السلام : يا لك من امرأة ! ...

السياسة : (باسمة وهى تستعرض أثواب الخزانة) خمن ! ... كما أن المرأة هى التى تصنع الثوب ... وكل ساعة فى حياة المرأة لها ثوبها ؟ ...

السلام : ترى ما هو الثوب الذى يليق بهذه الساعة التى نحن فيها ؟! ...

السياسة : (باسمة) إن الثوب هو الذى يصنع المرأة ...

السلام : (يرهف الأذن ، وقد سمع حركة فى الخارج) أسمعت ؟! ...

السياسة : (تلتفت إليه) ماذا ؟

السلام : صوت باب يفتح ويغلق ! ...

السياسة : آنت متأكد ؟! ... إذن هو زوجى قد عاد ! ...

— ١٥٦ —

السلام : (ناهضا مضطربا) زوجك ؟! ... والعمل الآن ؟ ...

السياسة : هدى روعك .. واختبئ حالا !! ...

السلام : (يلتفت حوله مضطربا) أين ؟ .. أين ؟ ...

السياسة : (تلتفت باحثة) أسرع إلى ... إلى ... إلى خزانة ثيابي

هذه ... وسأغلق عليك بالمفتاح ... هذا آمن

موضع ! ...

السلام : (يهرع إلى خزانة الثياب) أنقذيني سريعا من هذه

الورطة ! ...

أرجوك ! ...

(تغلق عليه باب خزانة الملابس بالمفتاح ... ثم

تخفي المفتاح في صدرها ... ولا يمضي قليل حتى

يفتح باب الحجرة ، ويظهر الزوج « الحرب »

حاملة طاقة من زهر الشمس الأبيض في

أغصانه)

الحرب : (مقدما الطاقة إلى زوجته) إليك يا عزيزتي طاقة من زهر

الشمس الذى طلع في هذه الأيام ! ... إنى كما ترين لا

أخلو من شعور لطيف نحوك ! ...

السياسة : (دون أن تمد يدها) أشكرك ! ... هذا جقا لطيف

منك ! .. ولكن ... لماذا عدت الليلة قبل موعدك ! ...

الحرب : أعرف أنك لا تحبين أن أفاجئك ! ...

السياسة : أحب مجيئك في الوقت المرسوم لك ! ... وهكذا الزوج
المثال ! ...

الحرب : إني دائماً كنت لك زوجاً مثالياً ! .. أنتكرين
ذلك ؟! ... ولكنى الليلة جئت في وقت لا تتوقعينه ؛
لأقدم لك خصيصاً هذه الطاقة ! ...

السياسة : نعم !... فهمت ! .. شكراً لك يا عزيزى ! ...
الحرب : (مقدماً إليها الأزهار) لماذا لا تأخذينها من يدي ؟! ...
السياسة : (وهى تأخذها) آخذها من يدك ؟ ... ولكن : « في
بالى » ! ...

الحرب : يا لك من ماكرة ! ...
السياسة : (باسمة) أظن أنى ضعيفة الذاكرة مثلك ؟! .. إني لا
يمكن أن أنسى الرهان الذى بيننا ...
الحرب : أف ! ... ضيعت على لذة الانتصار عليك ! ...
السياسة : جئت إذن الآن ؛ كى تعطينى الطاقة ! ... آخذها من
يدك ساهية لاهية ناسية ! ..

الحرب : وأقول لك عندئذ « يدس » ! ...
السياسة : (ضاحكة) يا لك من ساذج ! ...
الحرب : (يتأملها) كنت تتزينين فيما أرى ...
السياسة : نعم ! ... لأشغل وقتى ...
الحرب : لعلك كنت على وشك الخروج ! ...

— ١٥٨ —

السياسة : فكرت في هذا فعلا ...

الحرب : وحدك ؟ ...

السياسة : ما هذا السؤال ؟ ...

الحرب : عفوا ... ما قصدت قط الإشارة إلى شيء ... إنما هو مجرد

حب استطلاع !! ...

السياسة : حب الاستطلاع إذا صدر من زوج ، فإنه يسمى باسم

آخر ! ...

الحرب : ماذا يسمى ؟ ...

السياسة : يسمى أحيانا « الارتياب » وأحيانا « الغيرة » !! ...

الحرب : ما الذى يجعلك تظنين أنى أرتاب فيك أو أغار

عليك ؟ ...

السياسة : زهر المشمش المتفتح يهمس فى أذنى ! ... ما الذى ذكرك

بأزهار المشمش بالذات ؟ ... هذا الزهر الأبيض النابت

على غصنه ! ...

الحرب : ما هذا السؤال ؟ ...

السياسة : عفوا ... إنى ما قصدت الإشارة إلى شخص بعينه !! ...

إنما هو محض استنتاج ! ...

الحرب : مع احترامى لفرط ذكائك ، وبراعة استنتاجك ؛ فإنى

أؤكد لك أن ذلك الشاب الذى تقصدينه لا يستطيع أن

يحرك فى رأسى شعرة ! ...

السياسة : أى شاب تعنى ؟! .. آه ! ... تعنى ذلك الشاب الذى

قلت لك إنه يغازلنى ، ولا حيلة فى منعه ! ...

الحرب : إنه لا يستحق منى مجرد التفكير فى وجوده ! ...

السياسة : حسنا فعلت يا عزيزى ! ... إن التفكير فى أمره

متعب ... فهو شديد الإلحاح ، والإصرار ،

والعناد ! ... تصور أنه صنع المستحيل حتى تمكن من

دخول هذه الحجرة ! ...

الحرب : (فى صيحة) دخل هذه الحجرة ؟! .. متى ؟ ..

السياسة : الليلة ... فى غيتك ! ...

الحرب : أوقاهلك ؟ ...

السياسة : طبعاً ! ...

الحرب : أوحادثك !! ..

السياسة : طبعاً ! ...

الحرب : (يتأمل زينتها وأصباغها) وكيف إذن كنت تفكرين فى

الخروج ؟! .. لعلك كنت خارجة معه ؟! ...

السياسة : طبعاً ! ...

الحرب : (صائحاً) ما هذا الكلام يا امرأة ؟! ... أترين من

الطبيعى أن تخرجى مع هذا الشاب العاشق ليلاً ؟! ...

وفى غيتى ؟! ... ومن وراء ظهرى ؟! ...

السياسة : لست أدرى ما الذى جرى لعقلى فى تلك اللحظة ! ...

— ١٦٠ —

لقد استهوانى حقاً وسلب لى ! ...

الحرب : سلب لىك !؟ ...

السياسة : بل على الأصح ؛ شرح لى وجهة نظره شرحاً ، فيه كثير

من الصدق والإخلاص ! ...

الحرب : وتركته يتكلم ؟ ... واستمعت إليه !؟ ...

السياسة : طويلاً ... وبكل هدوء ! ...

الحرب : يا للعجب !! ... أو لم تلقى به من النافذة !؟ ...

السياسة : إني لست مثلك ، أتصرف بقبضتى ! ...

الحرب : بل تصغين ، وتحسنين الإصغاء ! ... نعم ! ... أخبرينى

من فضلك ما هو ذلك الكلام الجميل الذى قاله

لك !؟ ...

السياسة : قال لى إنه يحبنى ، ولا يستطيع أن يعيش بدونى ، ويريد أن

يهرب معى ...

الحرب : يهرب معك !؟ ..

السياسة : بعيداً عنك ... ليمتحنى السعادة التى لا يمكن أن أعرفها

معك ، أو ألقاها فى كنف خلقك الفظ ، وظلك

الثقيل ! ...

الحرب : (ثائراً) يا للشقى ! ...

السياسة : هدى روعك أيها العزيز !! ...

الحرب : (صائحاً) أهدى روعى !؟ ... كيف يهدأ روعى بعد

الذى سمعت ؟! ... يهرب معك ؟ ... يخطفك
منى ؟ ... هذا الشاب السخيف الضعيف ، الذى لا
يتحمل نفخة منى ... يصير بعدها رمادا ... يذهب
بك ؟ .. بعيدا عنى ؟ ... وكيف يستطيع أن يأخذك من
زوجك ؟ ... أنسى هذا الأحمق أنى زوجك ؟! ...

السياسة : توسل إلى أن أتمس منك الطلاق ! ...

الحرب : الطلاق ؟! ...

السياسة : ليتزوجنى من بعدك ! ...

الحرب : أهو مجنون ؟! ...

السياسة : بل هو فى تمام عقله ... وهو يعتقد بكل إخلاص أنه أحق

منك بى ... وأن زواجى منك غلطة لا تغتفر ! ..

الحرب : (صائحا) وأنت ؟ ... أنت ؟! ... أنت ؟! ...

أتركته يقول كل هذا ، دون أن تصفيعه ؟! ...

السياسة : إنى أترك مهمة الصفع لك أنت ؟! ...

الحرب : الآن ! ... بعد أن تركته يفر ... هذا الجبان ؟! ...

السياسة : ومن قال لك إنه فر ؟ ...

الحرب : لم يفر ؟! ... أين هو إذن ؟ ، ...

السياسة : فى قبضتك ؟ ...

الحرب : (صائحا) لست أفهم ... أفصحى ! ...

السياسة : إنه هنا الآن فى هذه الحجرة ...

(سر المتحررة)

— ١٦٢ —

الحرب : (منفجرا) هنا ؟! .. أين ؟ .. أين ؟ .. دلينى على مكانه ! ... أسرعى ! ... لأحطمه وأبيده من الوجود ... أين هو ؟! ...

السياسة : هنا ... داخل خزانة الملابس ! ...
الحرب : فى خزانة ثيابك ! ...

السياسة : نعم ! ... احتلت عليه حتى أدخلته فيها ، وحبسته داخلها كالفأر فى المصيدة ، إلى أن تأتى ..

الحرب : (صائحا) سحقا لهذا الفأر السام ! ... سأطحن عظمه بلحمه ! .. (يهجم على الخزانة ويهز بابها) إنها مغلقة بالمفتاح ، أين المفتاح ؟! ...

السياسة : المفتاح معى ! ..

الحرب : (صائحا ماداً يده) هاتى ! ...

السياسة : (تخرج المفتاح من صدرها وتعطيه إياه) خذ ! ...

الحرب : (يأخذ المفتاح من يدها وينطلق هاجما على الخزانة)

السياسة : (تصيح) « يدس » !! ..

الحرب : (يقف فى الحال مصدوما) يالى من أحق ! ...

السياسة : (فى لهجة الظفر) أرايت ؟! ... ألم أقل لك إنك لن

تظفر بالرهان ! ...

الحرب : ألفتت واخترعت كل هذه الحكاية الطويلة العريضة ؛

لتحتالى علتى وتتوصلى إلى تسليمى هذا المفتاح ؟! ...

— ١٦٣ —

إليك مفتاحك اللعين ... أيتها الماكرة ! .. (يلقى

بالمفتاح على الأرض)

السياسة : ليس هذا كل ما عليك أن تفعل ! ...

الحرب : ماذا تريد أن أفعل ؟! ...

السياسة : تنفذ الشروط ؟! ...

الحرب : ماذا تطالبين ؟ ...

السياسة : أطلب ... أطلب ... الـ ...

الحرب : تكلمي ! ...

السياسة : (تفكر) أطلب ! ... عقداً من اللؤلؤ الحر طويلاً

مزدوجاً من صفيين ... أزين به صدري !! ...

الحرب : غداً عندما تفتح الحوانيت ، أحضر لك ذلك ! ...

السياسة : الآن لا بد أن نشرب معاً نخب انتصاري ... انزل بسرعة

يا عزيزي ، وأحضر من عند البقال المجاور زجاجة

« شبنانيا » فاخرة ! ...

الحرب : أمرك ! ...

(يخرج مسرعاً طائعا ، ولا يكاد يخرج ويختفي

حتى تسرع هي فتلقط المفتاح من على

الأرض ... وتبادر إلى فتح خزانة

الملابس)

السياسة : (للسلام وهو داخل الخزانة) الآن ... اخرج أيها

— ١٦٤ —

العزیز ! .. بسلام ! ...

السلام : (يخرج شاحب الوجه) ...

السیاسة : ما هذا الشحوب يا عزیزى !؟ ...

السلام : (بصوت ضعيف) أوتريدین أن يكون فى جسمى قطرة

دم !؟ ... (يتجه إلى الباب)

السیاسة : أتذهب !؟ ...

السلام : بجلدى ! ... قبل أن يحدث مكروه ! ...

السیاسة : (وهى تشيعه إلى الباب) إلى اللقاء ... أيها العزیز ...

سأشرب الآن فى صحتك ! ...

السلام : (كاتخاطب نفسه) يا لك من امرأة ! ...

(يخرج سريعا دون أن ينظر إليها ...)

نہضۃ الجہنوں

فصل واحد

۱۹۳۵

(بهو في قصر ملك من ملوك العصور الغابرة)

(الملك ووزيره منفردان ...)

الملك : ما تقص على مروع ! ...

الوزير : قضاء وقع يا مولاي ! ...

الملك : (في دهش وذهول) الملكة أيضاً ؟ ...

الوزير : (مطرقاً) واحزنانه ! ...

الملك : هي أيضاً شربت من ماء النهر ؟! ..

الوزير : كما شرب أهل المملكة أجمعين ! ..

الملك : أين رأيت الملكة ؟ ...

الوزير : في حديقة القصر ! ...

الملك : ما كان ينقص الخطب إلا هذا ! ...

الوزير : لقد حذرنا مولاي أن تقرب ماء النهر ، وأوصاها أن تشرب

من نبيذ الكروم ... لكنه القدر ! ...

الملك : قل لي كيف علمت أنها شربت من ماء النهر ؟! ...

الوزير : سيماؤها .. حر كاتها ! ...

الملك : أحادثك ؟ ...

الوزير : لم أكد أقبل عليها حتى ازورت عني في شبه روع ؛ كذلك

فعلت وصائقها وجواربها ، وطفقن يتها مسن وينظرن إلى

— ١٦٧ —

نظرات المزورين ! ...

الملك : (كالتخاطب نفسه) كل هذا بدا لعيني في تلك الرؤيا ! ...

رحمة بنا أيتها السماء ! ...

الوزير : نعم ... كل هذا رأته عيناي من قبل ...

(صمت ...)

الوزير : متى يذهب غضب السماء عن هذا النهر ؟ ...

الملك : من يدري ؟ ..

الوزير : ألم ير مولاي في تلك الرؤيا الهائلة ما ينبئ بالخلاص ؟ ! ...

الملك : (يحاول أن يتذكر) لست أذكر ! ...

الوزير : تذكر يا مولاي ! ...

الملك : (يحاول التذكر) لست أذكر أكثر مما قصصت عليك ...

رأيت النهر أول الأمر في لون الفجر ، ثم أبصرت أفاعي

سوداء قد هبطت فجأة من السماء ، وفي أنيابها سم تسكبه

في النهر ، فإذا هو في لون الليل ! .. وهتف لي من يقول :

« حذار أن تشرب بعد الآن من نهر الجنون ! ... »

الوزير : ويلاه ! ...

الملك : وقد رأيت الناس كلهم يشربون ! ...

الوزير : إلا اثنين ! ...

الملك : أنا وأنت ! ...

الوزير : وافرحته !! ...

— ١٦٨ —

الملك : علام الفرع أيها الرجل ؟! ...
الوزير : (يستدرك) عفواً مولاي ! ... إن حزني لعظيم ! ...
ليتني ... ليتني كنت فداء الملكة ! ...
الملك : شدّ ما أبغض هذا الكلام !! ... ليتك تستطيع على الأقل أن
تجد لها دواء !! .. يحزنني أن يذهب مثل عقلها الراجح ،
ويخبو هذا الذهن اللامع في سماء هذه المملكة ! ...
الوزير : حقاً ... إنها كانت كالشمس في سماء هذه المملكة !! ...
الملك : نعم ! ... أنت دائماً تردد ما أقول ولا تفعل شيئاً ... على
برأس الأطباء ! ...
الوزير : رأس الأطباء ؟! ..
الملك : نعم رأس الأطباء ... لعله يستطيع لها شفاء ! ...
الوزير : مولاي نسي أن رأس الأطباء كذلك قد ذهب ! ...
الملك : ذهب ؟! ... أين ؟ ...
الوزير : هو أيضاً من الشاربين !! ...
الملك : يا للمصيبة ! ...
الوزير : لقد رأيته كذلك بين يدي الملكة ، وقد تغيرت نظراته
وحرركاته ، وكلما لمحنى هزّ رأسه هزّاً لا أدرك له
معنى !! ..
الملك : رأس الأطباء قد جن ! ...
الوزير : نعم !! ...

— ١٦٩ —

الملك : لقد كان نابغة زمانه ... أية خسارة أن يصاب مثل هذا

الرجل بالجنون ؟!

الوزير : وفي وقت نحن أحوج ما نكون إلى علمه وطبه ! ..

الملك : ليس في هذه المملكة الآن غير واحد يستطيع إنقاذنا مما نحن

فيه ! ...

الوزير : من يا مولاي ؟!

الملك : كبير الكهان ! ...

الوزير : واحسرتاه ! ...

الملك : ماذا ؟ ...

الوزير : منهم يا مولاي ! ...

الملك : ما تقول ؟ ... من الشارين ؟ ...

الوزير : أجل ، منهم !!

الملك : هذا ولا ريب ما يسمى بالخطب الجلل ! .. حتى كبير

الكهان أصيب بالجنون ، وهو أحسن الناس رأياً ، وأبعدهم

نظراً ، وأثبتهم إيماناً ، وأظهرهم قلباً ، وأدناهم إلى

السماء ؟!

الوزير : هو القضاء يا مولاي ... ألم أقل إنه قضاء وقع ؟!

الملك : أجل ... إنها لكارثة شاملة ! ... ليس لها من نظير ، لا في

التواريخ ولا في الأساطير ... مملكة بأسرها قد أصابها الجنون

دفعة واحدة ، ولم يبق بها ناعم بعقله غير الملك

(سر المتحرة)

والوزير !!! ...

الوزير : (يرفع رأسه إلى أعلى) رحمة السماء ! ...

الملك : أصغ أيها الوزير ! ... إن السماء التى حبتنا

بالامتناء ، وحفظت علينا نعمة العقل ، لا ريب

ترانا خليقين أن تستجيب منا الدعاء ! ... هلم بنا إلى

معبد القصر ، نصلى وندعو أن ترد إلى الملكة والناس

عقولهم ! ... هذا آخر ملجأ نستطيع أن نلتجئ

إليه ...

الوزير : أجل يا مولاي ... آخر ملجأ لنا وخير ملجأ :

السماء !

(يخرجان من أحد الأبواب ...)

(يدخل من باب آخر : الملكة ، ورأس

الأطباء ، وكبير الكهان ...)

الملكة : إنه لخطب فادح ! ...

رأس الأطباء : (معا) أجل ! ... إنها لطامة كبرى ! ...
وكبير الكهان

الملكة : (لرأس الأطباء) أما من حيلة للطب فى رد نور العقل

إلى هذين البائسين !؟ ...

رأس الأطباء : يشق على هذا العجز منى أيتها الملكة ! ...

الملكة : تفكر يا رأس الأطباء ! ...

— ١٧١ —

رأس الأطباء : لقد تفكرت مليا يا مولاتي ... إن ما أصابهما لا يسعه علمي ! ...

الملكة : أأقنط إذن من شفاء زوجي ؟! ...

رأس الأطباء : لا تقنطي يا مولاتي ... هنالك معجزات تهبط أحيانا من السماء ! ... هي فوق الأطباء ! ...

الملكة : ومتى تهبط تلك المعجزات ؟ ...

رأس الأطباء : من يدرى يا مولاتي ! ...

الملكة : يا كبير الكهان ! ... استنزل لي واحدة منها

الآن ! ... الآن ! ... الآن ! ...

كبير الكهان : أستنزل واحدة من ماذا ؟! ...

الملكة : واحدة من تلك المعجزات التي في السماء ! ...

كبير الكهان : من قال يا مولاتي إنى أستطيع أن أستنزل شيئا من السماء ؟! ..

الملكة : أليس هذا من عملك ؟ ...

كبير الكهان : إن السماء يا مولاتي ليست كالنخيل ، يستطيع الإنسان أن يستنزل منها ما شاء من ثمار ! ...

الملكة : ألا تستطيع إذن أن تصنع شيئا ؟! ... إنى زوج تحب زوجها ! ... إنى امرأة تريد إنقاذ رجلها ... أنقلوا

زوجي ! ... أنقلوا زوجي ! ...

رأس الأطباء : بعض الصبر يا مولاتي ! ...

كبير الكهان : دع الملكة تقول ! ... إنها لعلى حق ... هى تبكى
زوجا كريما ! ... الناس كذلك لو عرفوا الحقيقة
لبكوا ملكا كان حازم الرأى راجع العقل ! ...

الملكة : احذروا أن يعرف الناس الخبر ! ...
كبير الكهان : نحن أصمت من قير يا مولاتى ! ... غير أئى أخشى
عاقبة الأمر ... إنا مهما أخفينا الخبر لا بد أن يظهر
يوما من الأيام ! ... وأى مصيبة أفدح من علم الناس
بأن الملك والوزير ...

الملكة : صه ! ... إن هذا مروع ! ..
كبير الكهان : حقا ... إن هذا مروع وعظيم الخطر ! ...
الملكة : ما المخرج ؟ ... لا تقفنا من الأمر موقف اليأس ...
افعلنا شيئا ... إنى أفقد عقلى أنا أيضا ، ولا ريب ، إن
طال أمد هذا الحال ! ...

كبير الكهان : لو أن فى مقدورى فهم ما يدور برأسه !! ...
الملكة : إنه يذكر النهر فى فزع ، ويزعم أن ماءه
مسموم !! ...

كبير الكهان : وماذا يشرب إذن ؟ ...
الملكة : نبيذ الكروم ! ... ولا شئ غير نبيذ الكروم ! ...
رأس الأطباء : نعم ... نبيذ الكروم ! ... يغلب على ظنى أن
الإدمان قد أثر فى عقله ! ...

الملكة : إن كان الداء فيما تقول فما أيسر الدواء ! ... تمنع عنه الخمر ! ...

رأس الأطباء : وماذا يشرب !؟ ...

الملكة : ماء النهر ! ...

رأس الأطباء : أتحسبينه يرضى يا مولاتي !؟ ...

الملكة : أنا أحمله على ذلك ! ..

رأس الأطباء : (يلتفت إلى صوت قريب) ها هو ذا الملك قادم ! ..

الملكة : (تشير إلى رأس الأطباء وكبير الكهان) اتركنا وحدنا ! ... (يخرجان ، ويتركان الملكة ، تتأهب لملاقاة الملك)

الملك : (يراها فيقف بغتة في مكانه) أنت هنا ؟ ...

الملكة : (تنظر إليه مليا) نعم !! ...

الملك : لماذا تنظرين إليّ هذه النظرات !؟ ...

الملكة : (تنظر إليه وتهمس متوسلة) أيتها المعجزات !! ...

الملك : (يتأملها في حزن) ويلي !! ... إن قلبي

يتمزق ! ... لو تعلمين مقدار ألمي أيتها

العزيزة !؟ ...

الملكة : (تحديق في وجهه) لماذا ؟؟ ...

الملك : لماذا ؟ ... نعم أنت لا تعرفين ! ... هذا الرأس

— ١٧٤ —

- الجميل ، لا يمكن الآن أن يعرف ! ...
- الملكة : ما الذى يؤلمك أنت ؟ ...
- الملك : (ينظر إليها مليا) يؤلمنى ... هل أستطيع أن أقول ؟ ... هذا فوق ما أحتمل ! ...
- الملكة : (كالدهشة) إنك تشعر بالنازلة ...
- الملك : أتسأليننى ؟ ... وأى شعور ؟ ...
- الملكة : (فى استغراب) هذا غريب ! ...
- الملك : واحزنه ! ...
- الملكة : (تتأمل لحظة فى إشفاق ، ثم تجذبه) تعال أيها العزيز اجلس إلى جانبى على هذا الفراش ، ولا تحزن كل هذا الحزن ! ... لقد آن لهذا الشر أن يزول عنا ! ...
- الملك : ماذا تقولين ؟ ...
- الملكة : نعم ... ثق أنه سيزول ! ...
- الملك : (يتأملها دهشا) إنك تحسين ما حدث ؟ ...
- الملكة : كيف لا أحس أيها العزيز ، وهو ما يملأ نفسى أسى ؟ ...
- الملك : (ينظر إليها مليا) هذا عجيب ! ...
- الملكة : لماذا تنظر إلى هذه النظرات ؟ ...
- الملك : (متوسما فى إشفاق) أيتها السماء ! ...
- الملكة : تدعو السماء ؟ ... وقد استجابت السماء ! ...

- الملك : ماذا أسمع ؟ ...
- الملكة : (في فرح) لقد وجدنا الدواء ؟ ...
- الملك : وجدتم الدواء ؟ ... متى ؟ ! ...
- الملكة : (في فرح) اليوم !! ...
- الملك : (في حرارة) وافرحتاه ! ...
- الملكة : نعم ... وافرحتاه ! ... إنما ينبغي لك أن تعصى إني
ما أقول ، وأن تعمل بما أنصح لك به ! ... يجب
عليك أن تقلع من فورك عن شرب البيد وأن تشرب
من ماء النهر !! ...
- الملك : (ينظر إليها ، وقد عاد إلى يأسه وحزنه) ماء النهر ؟ !
- الملكة : (بقوة) نعم !! ...
- الملك : (كاتخاطب نفسه) ويحى ... أنا الذى حسب
السماء قد استجابت ! ...
- الملكة : (في قوة) أصغ إلى واعمل بما أقول ! ...
- الملك : (ينظر إليها مليا في يأس) إني لأرى الأمر يزداد في
كل يوم شرا ... وهل كان يخطر لي على بال أنها تتكلم
مثل هذا الكلام ؟ ... وأن ما بها يبلغ هذا ؟ ...
وبلاه !! ... لابد من إنقاذها ! ... لابد من إنقاذها
كاد يذهب من رأسى العقل (يخرج سريعا) أيها
الوزير ! ... على بالوزير !! ...

- الملكة : (كالتخاطبة لنفسها في حزن وإطراق) صدق رأس
الأطباء ، إن الأمر لأعسر مما ... (تتنهد وتخرج)
الوزير : (يدخل من باب آخر متغير الوجه) مولاي ! .
مولاي ! .
- الملك : (يعود أدراجه) أيها الوزير ! ...
الوزير : جئتك بخبر هائل ! ...
الملك : (في رجفة) ماذا أيضاً ؟ ...
الوزير : أتدرى ما يقول الناس عنا ؟ ..
الملك : أى ناس ؟ ...
الوزير : المجانين ! ...
الملك : ماذا يقولون ؟ ...
الوزير : يزعمون أنهم هم العقلاء ، وأن الملك والوزير هما
المصابان !! ...
- الملك : صه ! ... من قال هذا الهراء ؟ ...
الوزير : تلك عقيدتهم الآن ! ...
الملك : (في تهكم حزين) نحن المصابون وهم العقلاء ؟ ..
أيها السماء رحماك ! .. إنهم لا يشعرون أنهم جنوا ! .
الوزير : صدقت ...
الملك : يخيل إلى أن المجنون لا يشعر أنه مجنون ! ...
الوزير : هذا ما أرى ...

- الملك : إن الملكة ، واحسرتاه ، كانت تخادثنى الآن وكأُها
تعقل ما تقول ، بل لقد كانت تبسدى لى الحزن
وتسدى إلى النصح ! ...
- الوزير : نعم ! ... نعم ! ... كذلك صنع لى كل من قابلت
من رجال القصر وأهل المدينة ...
- الملك : أيتها السماء رفقاً بهم ! ...
- الوزير : (لى تردد) وبنا ! ...
- الملك : (متسائلاً فى دهش) وبنا !؟ ..
- الوزير : مولاي ! إنى ... أريد أن أقول شيئاً ! ...
- الملك : (فى خوف) تقول ماذا ؟ ...
- الوزير : إنى كدت أرى ...
- الملك : (فى خوف) ترى ماذا ؟ ...
- الوزير : إنهم ... كل شيء ...
- الملك : من هم ... !؟ ...
- الوزير : الناس .. المجانين ... إنهم يرموننا بالجنسون ،
ويتهامسون علينا ، ويتآمرون بنا ... ومهما يكن من
أمرهم ، وأمر عقلهم ، فإن الغلبة لهم ، بل إنهم هم
وحدهم الذين يملكون الفصل بين العقل والجنون ؛
لأنهم هم البحر وما نحن معاً إلا حبتان من رمل ...
أُتسمع منى نصحاً يا مولاي !؟ ...

- الملك : أعرف ماذا تريد أن تقول ! ...
- الوزير : نعم ... هلم نصنع مثلهم ، ونشرب من ماء النهر ! ...
- الملك : (ينظر إلى وجه الوزير مليا) أيها المسكين ! ... إنك قد شربت ... أرى شعاعا من الجنون يلمع في عينيك ! ...
- الوزير : كلا ... لم أفعل بعد ! ...
- الملك : أصدقني القول !! ...
- الوزير : (في قوة) أصدقك القول ... إني سأشرب ! ... وقد أزمعت أن أصير مجنونا مثل بقية الناس ... إني أضيق ذرعا بهذا العقل بينهم ! ...
- الملك : تطفئ من رأسك نور العقل بيديك ؟ ! ...
- الوزير : نور العقل ؟ ... ما قيمة نور العقل في وسط مملكة من المجانين ؟ ! ... ثقي أنا لو أصررنا على ما نحن فيه ؛ لأننا من أن يشب علينا هؤلاء القوم ! ... إني لأرى في عيونهم فتنة تضطرم ، وأرى أنهم لن يلبثوا حتى يصيحوا في الطرقات : « الملك ووزيره قد جنا ، فلنخلع المجنونين ! »
- الملك : ولكننا لسنا بمجنونين ! ...
- الوزير : كيف نعلم ؟ ! ...

- الملك : ويحك ! ... أتقول جداً ؟! ...
- الوزير : إنك قد قلتها الساعة يا مولاي : إن المجنون لا يشعر أنه مجنون !! ...
- الملك : (صائحاً) ولكنى عاقل ، وهؤلاء الناس مجانين ! ...
- الوزير : هم أيضاً يزعمون هذا الزعم !! ...
- الملك : وأنت ؟ ... ألا تعتقد في صحة عقلي ؟ ...
- الوزير : عقيدتي فيك وحدها ما نفعها ؟ ... إن شهادة مجنون للمجنون لا تغني شيئاً ! ...
- الملك : ولكنك تعرف أنني لم أشرب قط من ماء النهر ! ...
- الوزير : أعرف ! ...
- الملك : وأن الناس كلهم قد شربوا منه ! ...
- الوزير : أعرف ! ..
- الملك : وأني قد سلمت من الجنون ؛ لأنني لم أشرب ، وأصيب الناس ؛ لأنهم شربوا ! ...
- الوزير : هم يقولون بأنهم إنما سلموا هم من الجنون لأنهم شربوا ، وأن الملك إنما جن لأنه لم يشرب ! ...
- الملك : عجباً ! .. إنها لصفاقة وجه !! ...
- الوزير : هذا قولهم وهم المصدقون ، وأما أنت فلن تجد واحداً يصدقك ! ...

- الملك : أهكذا يستطيعون أيضاً أن يجترثوا على الحق ؟! ...
- الوزير : الحق ؟! ... (يخفى ضحكته)
- الملك : أتضحك ؟! ...
- الوزير : إن هذه الكلمة منا في هذا الموقف غريبة ! ...
- الملك : (في رجفة) لماذا ؟ ...
- الوزير : الحق والعقل والفضيلة ، كلها أصبحت ملكا لهؤلاء الناس أيضا ... هم وحدهم أصحابها الآن ...
- الملك : وأنا ؟ ...
- الوزير : أنت بمفردك لا تملك منها شيئا ! ...
- (الملك يطرق في تفكير وصمت ...)
- الملك : (يرفع رأسه أخيرا) صدقت ... إنى أرى حياقي لا يمكن أن تدوم على هذا النحو ! ...
- الوزير : أجل يا مولاي ... وإنه لمن الخير لك أن تعيش مع الملكة والناس في تفاهم وصفاء ، ولو منحت عقلك من أجل هذا ثمنا ! ...
- الملك : (في تفكير) نعم ! ... إن في هذا كل الخير لى ...
- إن الجنون يعطينى رغد العيش مع الملكة والناس كما تقول ، وأما العقل فماذا يعطينى ؟! ...
- الوزير : لا شيء ... إنه يجعلك منبوذا من الجميع ... مجنونا في نظر الجميع ؟! ...

— ١٨١ —

- الملك : إذن فمن الجنون ألا أختار الجنون ؟ ...
- الوزير : هذا عين ما أقول ! ...
- الملك : بل إنه لمن العقل أن أؤثر الجنون ! ...
- الوزير : هذا لا ريب عندي فيه ! ..
- الملك : ما الفرق إذن بين العقل والجنون ؟! ...
- الوزير : (وقد بوغمت) انتظر ! ... (يفكر لحظة) لست أثنين
- فرقا ! ...
- الملك : (في عجلة) على بكأس من ماء النهر ! ...

الشیطانُ فی خطَر

فصل واحد

١٩٥١

(حجرة مكتب بسيطة الرياش ... الفيلسوف

جالس بين أكداش الكتب والمجلدات ، يقرأ

ويفكر في هدوء الليل ... وفجأة يدق جرس

« التليفون » على مقربة منه ؟ ...)

الميلسوف : (يتناول السماعة) ألو ! ... ألو ! ... تطلب

مقابلتي ؟ ... الآن ؟ ... الأمر هام ؟ ... من

حضرتك ؟ ... ماذا تقول ؟ ... الشيطان ؟ ...

أهذا وقت مزاح يا حضرة الفاضل ؟ ! ... في منتصف

الليل تطلبون الناس لتمازحوهم ؟ ... اقلل السكة من

فضلك ! .. (يضع السماعة) صفاقة وقلة

ذوق ! ...

(يسمع نقر على باب الحجرة ، ثم يفتح الباب ،

ويظهر « الشيطان » بشيابه الحمراء)

الشيطان : (برقة وأدب) لا تؤاخذني ! ... إنها حقاً صفاقة وقلة

ذوق ! ... فالوقت غير مناسب للزيارة ... ولكن

الأمر هام ! ...

الفيلسوف : (مذهولاً مأخوذاً) حضرتك ؟ ! ...

الشيطان : (ينحني بظرف وتواضع) نعم ! ... أنا هو ! ...

الفيلسوف : (فى همس) الشيطان !؟ ...

الشيطان : أخشى أن يكون منظرى قد خيب ظنك ! ...

الفيلسوف : بالعكس ! ... منظرك لا يختلف مطلقا عما اعتدنا أن

نراه فى الصور ! ... ثيابك الحمراء ! ... وقرناك

الصغيران ، وعيناك اللامعتان ! ... وأنفك

الطويل ! ... وقوامك النحيل ! ...

الشيطان : لست أدرى كيف صنعت لى هذه الصورة ! ...

ولكن ما دمت قد عرفت بها فلا بد أن أرتديها ...

كذبة مشهورة أجدى من حقيقة مستورة ! ...

الفيلسوف : (دهشاً) الشيطان !.. حضرتك إذن الشيطان !...

الشيطان الذى نقرأ عنه فى الكتب ... وسمع عن

أعماله العجيب !؟ ..

الشيطان : (متواضعا) هو أنا ولا فخر ! ... ذلك الذى

تذكرونه كل يوم بالخير ! ... فيما تكتبون

وتقولون ! ... إني بالطبع لأتابع كل ما ينشر عنى ولا

ما ينسب لى ... ولو أنى فعلت لقضيت أغلب وقى فى

تصحيح كثير من الوقائع . وتكذيب كثير من

الاتهامات ! ... إني قليل الاطلاع على ما فى الكتب

والأحاديث ! ... وقد يدهشك أن تعلم أنى شديد

الميل إلى العزلة ! ... بعيد كل البعد عن الاختلاط

— ١٨٦ —

بالناس ... وهذا سر احتفاظى بمظاهر الشباب ،
وبراحة الأعصاب ! ...

الفيلسوف : (يقدم إليه علبة التبغ) سيجارة ؟ ...
الشیطان : لا بأس ! ... إذا كانت من النوع الهادئ ! ...
الفيلسوف : اطمئن ! ... إنى لا أدخن إلا أهدأ الأنواع ! ...
الشیطان : (يتناول سيجارة) شكرا ! ...
الفيلسوف : (وهو يشعل له السيجارة) ذلك أنى لا أبغى من
التدخين سوى مساعدتى على أن أفكر ! ...

الشیطان : تفكر فى ماذا ؟ ...
الفيلسوف : فى عملى ... إنك تعرف بالطبع أن مهنتى هى
التفكير ! ...

الشیطان : بدون شك ! ... فيلسوف من أهم الفلاسفة ...
هكذا قيل لى .. ولهذا جئت إليك الليلة كى تفكر
لى ! ...

الفيلسوف : أفكر لك ؟ ! ... أنت ؟ ! ...
الشیطان : نعم ! ... يجب أن تفكر لى أنا ! ... فى حل يخرجنى
من هذه المصيبة التى توشك أن تقع على رأسى ! ...
الفيلسوف : (دهشا) مصيبة ؟ ! ... ستقع على رأسك
أنت ؟ ! ...

الشیطان : نعم ! ... أنقذنى ... لن ينقذ رأسى غير رأسك هذا

المملوء بالأفكار ! ... أرشدنى إلى فكرة ... إلى حل

يبعد عنى الخطر ! ...

الفيلسوف : أنت فى خطر ؟ ! ..

الشیطان : داهم ... ينذر بالنهاية ! ... ترتعد منه فرائصى ! ...

الفيلسوف : يا للهول ! ...

الشیطان : أسرع وفكر لى ... كيف الخلاص منه ؟ ...

الفيلسوف : الخلاص من ماذا ؟ ! ...

الشیطان : من الخطر الذى يهددنى ... فكر لى ... فكر لى أيها

الفيلسوف ! ... ألسن فىلسوفا ؟ ... أليست

مهمتك التفكير ؟ ... فكر لى إذن فى الحال ... فكر

لى سريعا ... فكر .. فكر ...

الفيلسوف : (يفكر فى الحالة) هأنذا أفكر ! ... هأنذا

أفكر ! ...

الشیطان : (وهو يتأمل الفيلسوف ، وقد أطرق حاصرا فكره)

نعم ! ... ها أنت ذا تحصر فكرك جيدا ! ... أرجو

أن يتمخض ذهنك الجبار عن فكرة فعالة ! ...

الفيلسوف : (يرفع رأسه فجأة ويصيح) يا للعجب ! ...

الشیطان : (فرحا) وجدتها ؟ ... وجدتتها ؟ ...

الفيلسوف : نعم ... وجدت أنك لم تكشف لى ما هو الخطر الذى

يهددك ، وتريد له حلا ! ...

— ١٨٨ —

الشیطان : إنك لم تسألنى عنه ! ...
الفيلسوف : وهنا وجه العجب ! ... كان يجب أن أسألك قبل أن أفكر ! ...

الشیطان : إنك فكرت قبل أن تسأل ! ...
الفيلسوف : لا تؤاخذنى ! ... غلبت على العادة ... نحن معشر الفلاسفة نفكر أحيانا طويلا ، ثم ينتهى تفكيرنا فى أغلب الأحيان إلى سؤال ! ...

الشیطان : لا يا سيدى ! ... أرجوك ! ... لا تضيع لى وقتى ! ... إنى جئت إليك فى هذه الساعة من الليل ، كى تفكر لى تفكيرا ينتهى إلى حل ! ...
الفيلسوف : نبدأ إذن بالسؤال : ما هو الخطر الذى يهددك ؟ ...
الشیطان : الحرب !

الفيلسوف : (فى دهشة) الحرب تهددك أنت ؟ ! ..
الشیطان : طبعا تهددنى أنا .. أى وجه للدهشة فى هذا ؟ ! .. إن الحرب القادمة فظیعة ! .. وأظنك لا تجهل ذلك ..
قنابل ذرية وصاروخية ستحطم الدنيا وتفتك بالناس ! ..
الفيلسوف : وهل أنت إلى هذا الحد شديد الرحمة بالناس ؟ ! ..
الشیطان : شديد الرحمة بنفسى ! ...
الفيلسوف : وما دخلك ؟ ! ..

الشیطان : حیاتی مرتبطة بالناس ... حیث یكون الناس أكون
أنا ... فإذا قامت القیامة ، وجاءت النهایة ، فأنا مع
الجميع فی المقدمة إلى حیث ألقى مصری المکتوب
ونهایتی المحتومة ! ...

الفیلسوف : (بدهشة) إذن الحرب القادمة المبیدة هی شیء لیس فی
مصلحتك ! ..

الشیطان : أبدا ! ...

الفیلسوف : ومن الذی یشیرها إذن بین الأمم ؟! ...

الشیطان : وهل أدری ؟ ...

الفیلسوف : عجیبة ! ... الدنیا کلها تظن الشیطان هو الذی
یوسوس لزعماء الدول الکبری ، کى تشعل نيران
الحرب القادمة ! ... وها هو ذا الشیطان بنفسه یتصل
وینکر ! ..

الشیطان : أجننت أنا یا سیدی الفاضل ، حتی أحرق العالم کله
وأحرق نفسی معه ؟! ...

الفیلسوف : معقول ! ...

الشیطان : أنا مغفل ؟! ... أنا أرید الانتحار ؟! ... إنی کما قلت
لك الآن قد صرت أمیل إلى الهدوء والعزلة ... ولكن
بعض الناس ، فیما یظهر ، یریدون الصخب
والجلبة ! ... وتطربهم أصوات المفرقات ! ... وهذا

— ١٩٠ —

شأنهم إلى حد ما ... وكان في استطاعتي من قبل أن
أضع أصابعي في أذني ! ... ولكن المسألة فيما أرى
تتطور وتتدحرج ... ولم تعد المفرقات بالنسبة إلى أنا
بمجرد أصوات ! ...

الفيلسوف : أنت إذن تريد ؟ ...

الشیطان : منع الحرب ! ...

الفيلسوف : شيء غريب ! ... وهل من المتعذر عليك أن تهمس في
آذان زعماء الدول الكبرى ! ...

الشیطان : فعلت وهمست بكلمات السلام ... وقامت في كل
معسكر جماعات تطبيع المنشورات ، وتقوم
بالدعايات ، منادية بالسلام ... ولكن ماذا كان من
أمر هذا كله ؟ ... إن كلمة « السلام » نفسها قد
انقلبت مرادفة « للحرب » ... ولم أجد في القواميس
كلمة أخرى أهمس بها في الآذان لمنع الحرب ...

الفيلسوف : والعمل !؟ ...

الشیطان : هذا ما جئت ألقسه عندك ...

الفيلسوف : عندي أنا !؟ ...

الشیطان : نعم ! ... خطر يبالى أخيرا أن أذهب إلى فيلسوف ...
أبحث عنده عن فكرة يمكن أن تبعد خطر الحرب ...
وقد جئت إليك ! ...

الفيلسوف : (متأملا) فكرة لمنع الحرب ؟! ... نعم ! ... هذا ليس بمستحيل على أمثالنا نحن الفلاسفة ! ... إن صناعتنا هي توليد الأفكار ! ... ما من شك في أنى أستطيع أن أعطيك ماتطلب ! ...

الشیطان : (هاتفا) مرحى ! ... مرحى ! ... إن البشرية قد أنقذت ! ...

الفيلسوف : مهلا يا عزيزى الشيطان مهلا ... يجب أن نتفق أولا على الثمن ! ...

الشیطان : الثمن ؟! ... أى ثمن ؟! ...

الفيلسوف : ألم تأت إلى فى هذا الوقت المتأخر من الليل وتصرفنى عن أعمالى كى أفكر لك ، وأعصر ذهنى لحسابك ؟! ...

الشیطان : بل لحساب الإنسانية ! ...

الفيلسوف : إنى دائما أعمل لحساب الإنسانية ! ... ولم يمنع هذا من أن أتقاضى أجرا على نشر مؤلفاتى وأفكارى ! ...

الشیطان : إنك تفكر الآن لتنقذ الإنسانية من الدمار ! ...

الفيلسوف : وأولئك العلماء الذين يصنعون الآن القنابل الذرية والإيدروجينية ، التى سوف تدمرهم فيمن تدمر ، هل يفعلون ذلك لوجه الله ؟! ...

الشیطان : إنهم بالطبع يتناولون أجورا ! ...

— ١٩٢ —

الفيلسوف : لماذا إذن تريدني أن أفكر بالمجان لوجه الشيطان ؟! ...

الشيطان : حسيتك تهتم فقط بالمثل العليا ! ...

الفيلسوف : مثلك ؟! ...

الشيطان : أتسخر مني ؟! ...

الفيلسوف : بالعكس ! ... إلى أفهم ظروفك ! ... أنت لك الحق

في أن تهتم فقط بمثلك العليا ، لأنك وحيد ... ليست

لك زوجة ! ...

الشيطان : وهل أنت متزوج ؟ ...

الفيلسوف : طبعاً ... ولذلك أنا فيلسوف ... كل زوج قضى في

الزوجة عشرة أعوام فما فوق هو فيلسوف ، دون

حاجة إلى أن يتعلم حرفاً في الفلسفة ! ...

الشيطان : شيء عجيب ! ... إنك تتكلم عن أمر لم أجربه قط :

الزواج ! ...

الفيلسوف : أما خطر في بالك يوماً أن تتزوج ؟! ...

الشيطان : أبداً ... ولست أدري لماذا ؟ ... ربما كانت

غلطة ! ...

الفيلسوف : (يخلق فيه بعينه) غلطة أنك لم تتزوج ؟! ...

الشيطان : في الوقت المناسب ... لقد تركت بحماقة كل هذا

العمر الطويل يمضي ... منذ خلق الناس حتى

اليوم ! ... دون أن أفكر في تغيير طريقة

حياتي ! ... وها هي ذى النهاية تقترب ... وقد يسبح

هؤلاء العابثون في تدمير الدنيا ! ...

الفيلسوف : وأنت لم تدخل بعد — دنيا ! ..

الشیطان : (لم يفهم) ماذا تقول ؟! ...

الفيلسوف : أقصد لم تدخل — بعد — دنيا الزوجية ! ...

الشیطان : فات الوقت ! ...

الفيلسوف : (ينظر إليه ملياً) لا يبدو عليك أنك قد شخت ! ...

الشیطان : إنك تغرينى ! ...

الفيلسوف : أنا الذى أغريك ؟!! ...

الشیطان : إني على كل حال سئمت الوحدة والعزوبة ... ويخيل

إلّى أن دنيا الزواج المغلقة على ...

(يفتح فجأة باب مغلق في الحجرة ... وتندفع منه

امرأة في ثياب المنزل ... هي زوجة الفيلسوف)

الزوجة : (صائحة) أما كفى قراءة وكتابة ؟ ... هذا النور

الكهربائي الذى تبقّيه طول الليل ، أهو بنقود أم بغير

نقود ؟! .. ومن الذى يدفع حسابه كل شهر ؟ ...

أهو أنت من جييك أم أنا من المصروف ؟! ..

الشیطان : (هامسا) من حضرتها ؟! ...

الفيلسوف : زوجتى ! ...

الشیطان : خذ راحتك في الحديث معها ؛ إنها لم تبصرنى ، ولن

تسمعنى ! ...

الزوجة : (لزوجها) كلمنى ! ... ما لك تحرك شفتيك ،
وتنظر إلى الفضاء ! ...

الفيلسوف : (يلتفت إليها) نظرت إليك أنت ! ...
طلباتك ؟ ! ...

الزوجة : طلباتي ؟ ! ... أنت تعرفها جيداً وتتقن تجاهلها ! ..
ولكنى أقسمت أن أحققها كاملة ... شئت أم
كرهت ! ...

الفيلسوف : بالقوة ؟ ! ...

الزوجة : أنت لا تريد أن نسوى أمورنا بالوسائل الودية ! ...
الفيلسوف : أنا ؟ ! ... أنا الرجل المسالم ؟ ! ...

الزوجة : في الظاهر ! ... ولكنك في الباطن رجل غنيد
مشاكس ! ... تريد أن يسير كل شيء في البيت بأمرك
وحذك ! ... وعلى هواك ! ... ووفق أفكارك ! ...

الفيلسوف : ألا يجب أن يكون لى في البيت رأى ؟ ! ...

الزوجة : لا يا سيدى ! ... رأيك تضعه في كتبك ... أما البيت
فتضع فيه نقودك ! ...

الفيلسوف : تريدان إذن أن تكونى أنت المتصرفه في شئون
البيت ؟ ...

الزوجة : طبعاً ...

الفيلسوف : وماذا تسمين هذا ؟ ...

الزوجة : الأصول ...

— ١٩٥ —

الفيلسوف : وما وضعى أنا فى البيت ؟ ...
 الزوجة : على مكتبك هادئا كما أنت موضوع ! ...
 الفيلسوف : غير ذى موضوع ! ...
 الزوجة : لا أفهم كلامك الفلسفى ! ...
 الفيلسوف : كل ما تفهمين هو أن تأخذى النقود منى ، وتسيطرى
 أنت على ؟ ! ...
 الزوجة : أسيطر عليك ؟ ... ما هذه الكلمات التى تجيد
 اختراعها ؟ ! ... ولكنها صناعتك ! ... تستخدمها
 ضدى ، أنا المسكينة التى لا تحسن الدفاع عن نفسها
 بالكلمات ! ...
 الفيلسوف : ولكنك تحسنين الهجوم بالأفعال ! ...
 الزوجة : إني لم أهجم بعد ! ...
 الفيلسوف : بدأت المناوشات ! ... ألسنت أنت التى خطفت من
 يدي محفظة النقود هذا الصباح ؟ ... بعد أن خدشتنى
 بأظافرك الطويلة ، وذهبت إلى الحوانيت ، فاشتريت
 لنفسك الجوارب والعطور ، وعدت دون أن تشتري
 لزوجك قميصاً واحداً ، يعوضه عن قمصانه القديمة
 البالية ؟ ! ...
 الزوجة : ولماذا أشتري لك ، وأنت تخفى عني ما يصل إلى يدك
 من مال ؟ ! ...
 الفيلسوف : يا للتهمة الزور التى تلصقنيها بى دائماً ! ... أنا أستطيع

— ١٩٦ —

أخفى عنك شيئاً ... ولك أنف يشم رائحة القرش ؛

كما يشم الحماوى رائحة الثعبان ! ..

الزوجة : ليس هنا ثعبان غير لسانك الذى يقطر السم ! ...

الفيلسوف : سمى لا يؤثر فيك على كل حال ! ...

الزوجة : رأيت ؟! ... كل ما تتمناه أنت هو أن يسمم

حياتى ! ...

الفيلسوف : وأنت ؟! ... هل قررت الإضراب يوماً واحداً عن

تنغيص حياتى ؟! ...

الشیطان : (هامساً للفيلسوف) أهذا هو الزواج ؟! ...

الفيلسوف : نعم ... لطيف جداً ... أليس كذلك ؟! ...

الزوجة : عدت تحرك شفتيك ، وتحملق فى الفضاء ! ...

الفيلسوف : أتريدى أيضاً التحكم فى شفتى ، والتدخل فى

عينى ؟! .. أليس لى الحق أن أكلّم من أشاء وأنظر إلى

من أشاء ؟! ...

الزوجة : ليس فى الحجرة غيرى ! ...

الفيلسوف : من أدراك ؟! ...

الزوجة : تقصد أن هنا الآن شخصاً آخر غيرى ، تنظر إليه

وتخاطبه ؟ ...

الفيلسوف : غيرك ؟! ... طبعاً هنا غيرك ! ... أتظننى أنه ليس فى

الكون غيرك ؟! ...

الزوجة : وما دخل الكون ؟! ... إنى أتكلّم عن هذه

— ١٩٧ —

الحجرة ... أفيها أحد ثالث ؟! ...

الفيلسوف : بدون شك ! ...

الزوجة : من هو ؟! .. من فضلك ! ...

الفيلسوف : لا أقول .

الزوجة : أحد ثالث تراه أنت الآن هنا ؟! ...

الفيلسوف : طبعاً ! ...

الزوجة : ولماذا تبصره أنت ولا أبصره أنا ؟! ..

الفيلسوف : وهل ذنبى أن أبصر ما لا تستطيعين أنت

أن تبصرى ؟! ..

الزوجة : قلت لك ألف مرة خاطب بفلسفتك هذه الناس في

الخارج ، أما هنا في البيت فخاطبني بمنتهى العقل ! ...

الفيلسوف : وما هو العقل عندك أيها المرأة ؟! ...

الزوجة : رأيته ؟ ... كل همك أن تشعرني دائماً أنك من طينة

غير طينتي ... وأن تفكيرك هو في مستوى أرفع من

تفكيرى . تريد أن تفهمنى ألى صغيرة إلى

جانبك ! ... وأنت ترى ما لا أرى ... وتدرك ما لا

أدرك ... تريد أن تسيطر على بفكرك ... ولكنك لن

تسيطر على ! ... إني أصلب عوداً مما تظن ! ... إن

لى شخصية لا يمكن أن تنطوى تحت شخصيتك ! ...

الفيلسوف : أهذه الفكرة هى التى تثيرك ؟! ..

الزوجة : لا يمكن بأى حال أن أكون تابعة لك ! ...

— ١٩٨ —

- الفيلسوف : وماذا تريد أن تكونى ؟ ...
الزوجة : سيدة هذا البيت ! ...
الفيلسوف : وأنا ... أأست هنا سيدا ؟ ..
الزوجة : كن ما شئت ! ... ولكن كلمتى فى البيت هى
العليا ! ...
الفيلسوف : وكلمتى أنا هى السفلى !! ...
الزوجة : لا ينبغى أن يكون فى البيت كلمتان وحاكآن ! ... بل
أمر واحد ... ومسيطر فرد ! ...
الفيلسوف : هو أنا بالطبع ! ...
الزوجة : بل هى أنا بالضرورة ! ...
الفيلسوف : أهذا معقول ؟! ...
الزوجة : المسألة ليست بالعقل !! ...
الفيلسوف : بالقوة ؟! ..
الزوجة : بكل أسف ، نعم ! ... وسترى الآن من منا الذى
سيخضع الآخر ! ... لقد قلت منذ لحظة ؛ إنك تبصر
مالا أستطيع أن أبصره ! ... خسفت وكذبت ! ...
إنى أبصر الآن أكثر منك ... ذلك الشخص الذى معنا
فى هذه الحجرة ! ...
الفيلسوف : تبصريه ؟! ... من هو ؟ ...
الزوجة : هو الشيطان ! ...
الشيطان : (هامسا) يا للعجب ؟! كيف شممت رائحتى ؟! ..
الفيلسوف : (دهشاً) أترينه الآن معنا ؟! ..

الزوجة : (دون أن تلتفت أو تفتن لوجود الشيطان الفعل)

نعم ! ... وإتكن على حذر ! ... فهو الآن يسي
وبينك ... ألا تعلم ... وأنت الفيلسوف ... ذلك
المثل الذى يقول : « ما اجتمع رجل وامرأة إلا كان
ثالثهما الشيطان » ؟ ..

الشيطان : (همسا للفيلسوف) ليس دائماً .. إني هنا الليلة
بينكما بمحض المصادفة ... كما تعلم !..

الفيلسوف : (للشيطان) ... نعم ! ... أعلم ! ...

الزوجة : (قد ظنت الكلام موجهاً إليها) تعلم ؟ .. نعم : هذا

المثل حقيقى ، والدليل على وجود الشيطان بيننا الآن ،
أنه يوسوس لى أن أختطف هذه المحبرة التى أمامك
هكذا !.. (تسرع باختطاف محبرة المكتب) .. وأن
أقذف بما فيها على رأسك ، وثيابك ، وكتبك ! ...

الشيطان : (هامسا للفيلسوف) يا للظلم ! ... أتصدق أنى
أقول لها أن تفعل ذلك ؟ !.. ..

الفيلسوف : لا .. لا أصدق طبعاً ! ...

الزوجة : (رافعة فى يدها المحبرة) لا تصدق ؟ ... بل

صدق ... إني أفعلها إذا لم تبادر وتسلم لى بلا قيد ولا
شرط ! ...

الفيلسوف : (صائحاً) أجننت ؟ !.. تلقين على هذه المحبرة بما فيها

من حبر ؟ !.. ..

الزوجة : حبر أحمر كالدم ! ... سلم في الحال وأعلن خضوعك
التام ! ..

الفيلسوف : خضوعى التام !؟ ...

الزوجة : بدون قيد ولا شرط ... وإلا ألقيت عليك هذه ! ...
(تهز في يدها) المحيرة ...

الفيلسوف : (صائحا) هذه !؟ ... هذه قبلة ... قبلة
ذرية ! ...

الزوجة : (مهددة بالمحيرة) فلتكن ما تكون ! ... اخضع
وإلا ...

الفيلسوف : (ملتفتا إلى الشيطان مستجدا) ما رأيك ؟ ...
الشيطان : (هامسا له) رأيى ؟ ... تسألنى رأىى ، وأنا الذى
جئت أتمس رأيك !؟ ... رأسك هذا هو الذى
سيفكرلى في منع الحرب ؟ ...

الفيلسوف : الحرب في حجرى ! .. (يشير إلى زوجته) وهى التى
أعلنتها ! ...

الشيطان : (منصرفا) يا خيبة أملى في حضرتك ! ...

الفيلسوف : تنصرف !؟ ... وتتركنى مهتدا !؟ ...
أنقذنى ! ...

الشيطان : دعنى أنقذ نفسى أولا من هنا ... قبل أن تلقى في
الحجرة قبلكم الذرية ! ... (يهرول هاربا من الباب
مشيرا بيده إشارة الوداع ! ...)

رقم الإيداع ٤٦٤٨ / ١٩٨٩

الترقيم الدولى ٣ - ٠٥٠٤ - ١١ - ٩٧٧



الثن ٤٥٠ قرشا

والطباعة
لشعار وشركاه